

١٨
مجلة
روايات أحلام



الرواية

www.riwaya.live

مكتبة رواية



{ الدوامة }

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية

زوروا موقع مكتبة رواية

www.riwaya.live

هذه الرواية إهداء خاص و حصري
رابط قناة روايات عبير على تيليجرام

<https://t.me/aabiirr>

تهتم قناة روايات عبير بمشاركة روابط روايات
عبير و أحلام و مختلف الروايات الرومانسية
الحصريّة و المميّزة

18 – الدوامة – شارلوت لامب

المقدمة :

الجراح تكون أكثر إيلاًماً ممن نحب .
جيني التي عذبتها ودمرتها خيانة زوجها لها ,
عانت الكثير من هذه
الآلام .

لكن . . . هل يخبو حبها له بعد انفصال
خمس سنوات , أم يعود القدر

ليجمعهما من جديد ؟

وهل تتزوج من غرانت , الرجل اللطيف

المحب , أم تعود لتشتعل بنار

الحب والغيرة مع روبرتو بوجود طفله الذي

يذكرها بخيانته لها ؟

إنها تحبه وتكرهه , فكيف يمكن أن يجتمع

الحب والكراهية في قلب

واحد ؟

الفصل الأول : طوق من نار

رن جرس الهاتف بينما كانت جيني تضع
اللمسة الأخيرة على
رسمها لزي جديد

. . . وتأففت بنفاد صبر . أكثر ما يغيظها

أن

يقاطعها أحد وهي تعمل , مما يقطع عليها

تركيزها .

ووضعت القلم بين أسنانها وسارت بسرعة إلى

الهاتف .

. نعم . . ؟

. هل لي أن أتحدث مع الأنسة جيني نيوهام

؟

في الصوت لكنة أجنبية , وشيء من التردد
. بدا على وجهه

جيني القلق والصدمة . فقالت وهي تنزع

القلم من فمها :

. هي . من المتحدث .

. جيني ؟

. من يتكلم ؟

. إيفا .

وسارعت المرأة لتضيف وكأنما خشيت أن

تقفل جيني الخط :

. أنا مضطرة للاتصال بك . . إن روبرتو . .

.

فقاطعتها جيني بخشونة :

. لن أتحدث عنه . . . لا الآن ولا أبداً . . .

لقد قلت لك من

قبل إيفا . لا أريد جرح مشاعرك . . فانا

اعرف أن قصدك الخير ,

ولكني لم أعد أعير ابنك أي اهتمام . .

وردت إيفا بصوت مختنق بدا و كأنه البكاء :

. لم تفهمي قصدي جيني .

فردت جيني برود :

. بل أفهم جيداً . . أوه . لا تبكي إيفا ! لا

يجب أن تدعي

الأمر يكدرك . روبرتو لا يستحق ذلك
مطلقاً .

وعاد صوت البكاء أعمق من قبل ,

ومسحت جيني شعرها بيدٍ

مرتجفة :

. إيفا . بحق الله لا تبكي ! أنا آسفة .

وهمس الصوت المرتجف المخنوق .

. إنه يموت . . . يموت يا جيني .

وللحظات وقفت جيني شاردة تنظر إلى

السماء الرمادية . . .

وبدا تأثير الصدمة يظهر , فتقلصت معدتها ,

واتسعت عيناها ,

وصرخت غير مصدقة .

. ماذا تعنين ؟

بالكاد استطاعت أن تلفظ الكلمات , فقد

خرجت وكأنها همسة

شبح من بين شفتيها الشاحبتين من شدة
التأثر . وأصدرت إيفا نحيباً

جديداً وقالت :

. كان يقود سيارته عندما انزلت وانقلبت به

, إذ فوجئ

بصهريج زيت منقلب على الطريق . وكان

هو أول الواصلين ولم

يلاحظ هذا إلا بعد فوات الأوان . . وأمضى

المسعفون ساعتين

لإخراجه . إنه شديد الشحوب لفقدانه

الكثير من الدم .

. اوه يا إلهي ! هل هو فاقد الوعي ؟

. لهذا أتصل بك . . لقد استعاد وعيه منذ

لحظات وأول شيء

تلفظ به هو اسمك .

. اسمي ؟

وأغمضت جيني عينيها بأسى . وتابعت إيفا

الحديث بسرعة

وكأنها تخاف من أن تقفل جيني الخط :

. سأل عنك , ومتى ستأتين . . . جيني إنه

يعتقد أنك ما زلت

زوجته .

وطال الصمت بينهما , وأنفاس جيني تتقطع

, والألم في

عينها . ثم سألت بخشونة :

. لم تقولين هذا ؟

. إن الأمر واضح . . لقد قال : أين جيني ؟

أين زوجتي ؟ في

البداية ظننته يهلوس . . وبعد حين أدركت
أنني مخطئة . . . جيني
لقد فقد ذاكرته , نسي أي شيء حدث له
خلال الخمس سنوات
الماضية . . نسي أندرو . . . وعندما ذكرت
اسمه أمامه لم يعرفه
فأصبت بالصدمة , إنني خائفة .
. وهل كان واعياً للحادثة .
. يقول الأطباء نعم . . . ولكن الإصابة في
رأسه خطيرة . لقد

أجروا له عملية عند وصوله المستشفى ,

ويقولون إنهم خفضوا من

الضغط على الدماغ . . ولكن من يعلم ؟

ورطبت جيني شفيتها :

. قلت . . قلت إنه يموت . هل هذا رأي

الأطباء ؟

. أنت تعرفين الأطباء جيني , إنهم لا يعطون

الجواب

الصحيح , ويراوغون دائماً . ولكنك ترين

الأمور بادية على

وجوههم , ينظرون إليك فتعرفين كل شيء

بوضوح .

. ولكن ماذا قالوا ؟

. أوه . . . إنه ليس على ما يرام . . إنه

مصاب بشكل خطير . .

كما قالوا لي , والآن قالوا إذا استطعت

المجيء . . سيكون هذا

أفضل .

. إذا استطعت ؟

واتسعت عيناها , وأصبح اخضرارهما شديداً
مقارنة مع بياض
بشرتها . . وعضت على شفتها وقال ببطء :
. إيفا . . لا يمكنني الحضور .
. إنه يسأل عنك طوال الوقت , يريد أن
يعرف لِمَ لم
تزوريه . أوه . . جيني . . ألا تستطيعين
فهمي ؟ إنه يعتقد أنك كنت
معه في السيارة ساعة الحادثة , وأنتك مُت ,
وأنا نخفي الخبر عنه .

راقبت جيني عصفوراً طار من على شجرة

قريبة , فardاً جناحيه

دون صعوبة . يرتفع وينجرف مع الهواء الحار

. . إنها لا تستطيع

التفكير بروبوتو سوى إنه قوي وشرس , ولا

تستطيع أن تتصور بأنه

سيموت . فهو دائماً كان بالنسبة لها مفعم

بالحياة . ثم تابعت إيفا :

. أعلم أن معاملته لك كانت سيئة .

الملاحظة جعلت شفتي جيني تلتويان بمرارة

وقالت قبل أن

تستطيع منع نفسها :

. ما هذا التصريح المتأخر !

. ولكنه يموت ! لا يمكنك رفض رؤيته . .

جيني . . تعرفين أنه

لا يمكنك .

صحيح . . إنها تعرف , وهذا ما جعلها

غاضبة , وقد غلف

الحزن نظراتها , وهي تتطلع من النافذة ,

وتابعت إيفا بسرعة :

. سأرسل لك سيارة . وكل ما عليك فعله أن

تقفي قرب سريره

لبضع لحظات ليرى أنك سالمة . . وهذا لن

يؤذيك يا جيني .

كان في كلامها سخرية خفيفة , أدهشت

جيني , فلطالما كانت

إيفا لطيفة معها . . فقالت بقلق :

. لا بأس .

فتنهدت إيفا ارتياحاً . أقفلت جيني الخط ,

وأخذت تحقق في

السماء . . المطر ينهمر , رذاذ خفيف ينقر

الزجاج وكأنه

الأصابع .

لم تر روبرتو منذ خمس سنوات . . ولقد

عانت كثيراً لتخلص

من ذكراه ولتمسح طيفه من عقلها الباطن .

. كانت تحلم به ليلة بعد

ليلية ولسنوات . . كارهة نفسها لعدم قدرتها
على السيطرة على
مخيلتها .

التقيا وكانت لا تزال صغيرة . . لا خبرة لها
بالحياة . . وتقبلت
طابع شخصيته الأكبر سناً والأقوى دون أن
تدرك حتى ما كان
يحدث لها . روبرتو , وبطرق كثيرة , كان
يجعلها طيعة له . . يعيد

قولبتها وكأنه النحات يقولب الصلصال

الطري . يتمتع بفرض

الغموض عليها . . ولقد مرت بنوع من

الصراع الداخلي مع نفسها

عندما حاولت التخلص من سيطرته .

لقد كانا متناقضين . . . كان شديد السمرة

بقدر ما هي شديدة

الشقار . . مسيطر على نفسه بينما هي

متقلبة . . هو متصلب شرس

لا يلين بينما هي حساسة وسريعة العطب . .

. ومن الجنون أصلاً

أنها انجذبت إليه . . ولكنها أصيبت بالدوار

لوجوده كالفراشة أمام

الضوء الساطع , لا تهتم أن تحرق جناحيها .

. و روبرتو اغتتم كل ما

فيها من ضعف ليتمسك بها دون رحمة .

تستطيع أن ترفض الذهاب . . . بالطبع . .

. و لكن إذا كان

يموت . . فهل تستطيع الرفض ؟ قد لا

تستطيع مواجهة عالم هو

ليس فيه . حتى كراهيتها له تعطيها سبباً

للحياة .

تخلصت من دائرة أفكارها المجنونة القاسية ,

ونظرت إلى

ثيابها . الملطخة بالدهان . . يجب أن تغير

ثيابها وغطت رسومها ,

ثم دخلت الحمام , خلعت ملابسها

واستحمت , ثم ارتدت فستاناً

صوفياً أخضر اللون قائماً .

عندما سمعت رنين جرس الباب كانت جاهزة

, فتحت الباب

فإذا بها أمام شاب صغير خطا إلى الأمام

وقال مقطباً :

. مرحبا جيني .

. هل أنت جوليان ؟

لم تستطع أن تصدق أنه ذلك الشاب اليافع

أين الخمسة عشرة

سنة عندما قابلته آخر مرة . . . أين

التصرفات الخرقاء , والبثور

والبشرة الناعمة , من هذا الشباب ذي

الأعوام العشرين , الأنيق

الرقيق , بشعره الذي يصل إلى ياقة قميصه ؟

. . شبهه بأخيه أكثر

بروزاً الآن من ذي قبل . .

. كيف حالك جوليان ؟

ورد عليها بصوت خشن :

. أنا بخير .

كان دائماً متعلقاً بأخيه , فهم عائلة مترابطة
.. الباستينو لهم

علاقة متينة منسوجة بدقة . ولقد وجدت

جيني صعوبة كبيرة في

البداية في الانتساب لهذه العائلة . .

وأحست في البداية بالمقاومة

لها . . والعدائية . . وحتى الغيرة . .

وبالتدريج أحست أنها تلبس

ثوبهم , ولكن في النهاية لم تعد تستطيع

الاحتمال .

وأخذ جوليان منها المعطف الذي تحمله

وساعدها على

ارتدائه , وقال :

. السماء تمطر . . ولدي مظلة , سنضطر إلى

الركض نحو

السيارة عندما نخرج .

كان قد مضى زمن طويل لم تتركب جيني فيه

سيارة فخمة كهذه

السيارة . ونظرت ساخرة إلى الفراش الأبيض

المنجد , وإلى لوحة

العدادات اللماعة وكأنها صنعت لطائرة

حربية .

وملس جوليان شعره الأسود إلى الخلف ,

واستدار لينظر إليها .

. تبدين أكثر جمالاً مما أذكرك جيني .

كان في عينيه وميض إعجاب وهما تحومان

حولها لتستقرا

قليلاً عند الساقين اللتين برزتا من تحت حافة
الفستان . وكان يمكن

أن تجد اهتمامه الرجولي بها مثيراً لولا أنه

ذكرها بأول لقاءٍ لها مع

أخيه . وسألته :

. كيف حاله وهل شاهدته ؟

. لقد رأيته . وماذا أستطيع أن أقول . . يبدو

بحالة رهيبة . .

لقد أحسست بالدوار عندما وقفت قرب

سريره وشاهدت عن كثب

ما حدث له . لطالما كان رجلاً قوياً , والآن
قد أصبح حطاماً .

فارتعدت جيني !

. أنا آسفة !

. هل أنت آسفة حقاً ؟ أتساءل .

فاتسعت عيناها :

. وماذا تعني ؟

. أنت تكرهينه وأنا لا ألومك , فلديك

أسبابك , ولكن

أرجوك , لا تدعي الحزن وأنت لا تشعرين به
. لا بأس بذلك أمام

أمي , فهي رقيقة القلب لتصدق بأنك لا
زلت مهتمة . . أما أنا فلا

أطيع الكذب . فلو كنت مكان روبرتو , ولو
كنت أموت , فلن

أرغب في أن تبكي قرب سريري .
فلمعت عيناها الخضراوان غضباً :

. لم أكن يوماً ممثلة بارعة لأدعي أي شيء
جوليانو . . فأنا

ذاهبة لأراه لأن والدتك توسلت إلي . .

ولأجل راحة نفسي

قبلت . . إنها فكرة سخيفة أن أراه ثانية . لو

أنه في وعيه لما فكرت

بالأمر . ولكن إيفا رجتني , وأنا مولعة بأملك

جداً .

كان لجوليانو بقية من الذوق ليخجل , فاحمر

وجهه , ووضع يداً

معتذرة على ذراعها .

. جيني . . أرجوك . . أنا آسف حقاً . أنها

الصدمة لرؤيته

هكذا , جعلتني أعتقد أن لا شيء آمن ,

لا شيء ثابت . . قد كان

دائماً صخرة العائلة . . الأقوى بيننا كلنا ,

كان بالنسبة لي الأب منذ

وفاة والدي .

أجفل جيني لهذه الذكرى . . فهي لا تريد أن

يذكرها أي شيء

بأنطونيو باستينو . فقد كان عدوها منذ

البداية , وآخر مرة رآته فيها

أهانها بمرارة وأذها . ولم يخفف موته بعد ذلك

بأشهر من شعورها

بالكرهية له .

. ألا يجب أن نذهب الآن ؟

. أوه . . أجل . بالطبع .

بعد لحظات من انطلاقهما سألته :

. ماذا تفعل الآن جوليانو . . . أتعمل في

المؤسسة ؟

. بالطبع . . وما غيره ؟

فرددت بسخرية :

. وما غيره . .

. أعمل هنا في نيويورك .

. أوه . . لم أكن أعلم هذا . . منذ متى أنت

هنا ؟

منذ سنة . أمضيت في لندن مع روبرتو ثم

أرسلني إلى

هنا لأكتسب المزيد من الخبرة .

. وهل تعجبك السكنى في نيويورك ؟

. ليست مثل روما .

وابتسم . . فابتسمت بدورها :

. صحيح .

. أنا مشتاق للشمس .

. وهل ستعود إلى لندن أم ستقيم هنا ؟

فهز كتفيه :

. هذا عائد لقرار روبرتو . . إذا عاش .

وساد صمت متوتر , مرفق بأفكار صامتة ,

ثم ردت عليه

: بغضب :

. بالطبع سيعيش ! لا تستسلم جوليانو ,

فروبرتو لن يسمح لك

بهذا لو عرف . يجب أن تؤمن بأنه سيتحسن

.

. ولكنك لا تصدقن هذا وإلا لما جئت .

بساطة رده صدمتها , ونظرت إلى الطريق

متنهدة والدموع تنهمر

من عينيها . إنه محق , إنها تتظاهر بالهدوء ,

لكن في الحقيقة . إنها

تشعر بالبؤس يملأ نفسها ولا تجرؤ على البوح
به .

توقفت السيارة بهما خارج أبواب المستشفى
الزجاجية , وخرج

ليساعدوها على النزول واضعاً ذراع تحت
مرفقها , وقال :

. يجب أن أوقف السيارة بعيداً . انتظري هنا
. . . لن أتأخر .

صحيح أن المطر توقف ولكن السماء ما
زالت مكفهرة , وكأن

المزيد من المطر يتجمع تحت الغيوم , وعاد
جوليان بسرعة ليمسك
بذراعها ثانية . . وسارا عبر المدخل المكتظ
نحو مصعد في
المؤخرة . ودخل وراءها جمهرة من الناس ,
وما أن توقف المصعد
حتى بدأ جوليان يشق طريقه معتذراً ليخرجاً .
ولحقت به جيني ,
قلبها يدق بقوة جعلتها تظن أن كل من كان
قربها قد سمعه .

إنها لم تشاهد روبرتو منذ خمس سنوات .

ودخل بها جوليان إلى غرفة الانتظار .

أحست بالقشعريرة . .

أسرعت إيفا راكضة نحوها , وذراعيها

مفتوحتان .

. جيني . . أوه يا عزيزتي !

وتعانقتا . . الخد على الخد , رأس إيفا

الأسود أقصر من رأس

جيني الأشقر بقليل . كانت قد نسيت كم أن

إيفا صغيرة الجسم ,

فبين ذراعيها بدت العجوز كالطفل لصغر

بنيتها . وتراجعت جيني

عنها لتنظر إلى البشرة السمرء والعينين

البنيتين اللتين تحملان

الحزن والألم . وبدت إيفا أكبر سنأ , فمنذ

خمس سنوات كانت

متوسطة العمر تمضي أوقاتاً طويلة أمام المرأة

لتظهر أصغر سنأ . أما

الآن فهي تبدو مسنة . لقد انقض الزمن

عليها كالذئب , فحرمها من

حيويتها . وخسرت من وزنها , وتجور خداها

, وأصبحت عيناها

أعمق تحت حاجبيها السوداوين الكثيفين . .

. وقالت إيفا مرتجفة

محاولة الابتسام :

. كم اشتقت لك .

. وأنا كذلك .

. كم هي الحياة ساخرة . . أخيراً عدنا والتقينا

. . ولكن

الأسباب مريعة !

ونظرت جيني إلى من حولها في الغرفة : أنا

تعرفها , لم تتغير

أبداً ولا شعرة منها تغيرت . كانت تجلس

منعزلة , إنها الفتاة الوحيدة

في العائلة . وجهها الممتلئ هادئ لا ينم عن

شيء وعيناها

السوداوان دون أي تعبير . إنها أكبر ببضع

سنوات من روبرتو ,

ومتزوجة من مهندس ايطالي . . زواجها

سعيد , ولديها اربعة

أولاد كما كانت تعرف آخر مرة . ثلاثة أبناء

وبنت . ولكن الاولاد

بكل تأكيد لا يحملون اسم باستينو ولذلك لا

حساب لهم , وأنا

تعرف هذا وتمتعض منه . كانت تكره جيني ,

لأنها لو حملت بأي

طفل فسيحمل اسم باستينو .

لويس كان يجلس قرب أنا . بدا سميناً و

ضخماً . . كتفاه

العريضان يتناسبان تماماً مع سترته المفصلة
بدقة على قياسه .

ولروبرتو علاقة تخلو من الود مع ابن عمه .
فهو على كل الاحوال

باستينو . ابن أحد ثلاثة اشقاء , عملوا

جاهدين لبناء إمبراطورية

باستينو . وباستمرار انتقال لويس الدائم من
نيويورك إلى لندن ,

ومن لندن إلى روما , لم يكن عدواً لجيني . .
بل على العكس فلقد

حاول عدة مرات إظهار إعجابه بطريقة سمجة

اضطرت معها إلى

ردعه ببرود . . وها هو الآن يتسم لها

متمتماً بالتحية فردت عليه

تحيته بهدوء .

وجلس ولد صغير إلى جانب لويس , ويده في

يده . عرفت من

هو وخفق قلبها ألماً .

ولاحظت إيفا نظراتها إلى الصبي . . فقالت

بنعومة :

. إنه أندرو .

انزلق الصبي من كرسيه ليأتيها راكضاً ,

ووضعت إيفا يدها على

رأسه الأسود , وأدارته نحو جيني :

. جيني هذا أندرو . . أندرو . . هذه جيني

.

وأحست جيني وهي تنظر إلى الطفل

بالغضب والتأثر معاً . إنه

صورة عن أبيه . له عينا عائلة باستينو

السوداوان المائلتان إلى

الأعلى , يحيط بهما رموش سوداء كثيفة

ترتفع إلى فوق . . وشعر

أسود براق , أنف مستقيم متكبر , وجنتاه

مرتفعتان . وحده فمه

الزهري الناعم المليء بالحدائث والرقّة ذكرها

بذلك الفم الذي كان

يجبرها يوماً على الاستسلام .

. مرحباً أندرو .

امتدت يده بأدب , وأمسكت بها . وأحست

بالألم المفاجئ

للسرور الذي أحست به للمسها . .

وتفحصتها عيناه . . وكأنه

يعرف كل شيء عنها . . ولكن هل أخبروه

بشيء بحق الله ؟

تقدمت أنا . . والامتعاض باد في كل حركاتها

, وأدارته ثانية

لتعيده إلى المقعد , ونظرت إيفا لابنتها ,

وتنهدت . . ثم استدارت

إلى جيني وسألتها :

. هل ستدخلين الآن لرؤيته ؟

عند باب الغرفة توقفت والتفت بقلق إلى

جيني .

. ستكونين حذرة . . ألن تفعلي ؟ لا تدعيه

يتكلم , ابتسمي له

فقط .

تبتسم ! وتنهدت بصمت , هل تعلم إيفا ما

تطلب منها . . .

ومررت يدها إلى شعرها , وحملت عينا إيفا

بالخاتم الماسي الذي

لمع في يد جيني . . . فصاحت :

. لا يمكنك وضعه .

للحظات بدا عدم الفهم على جيني , ثم احمر

وجهها ونظرت

إلى الخاتم الماسي في يدها . وتأوهت إيفا :

. لو شاهد هذا . . .

فقاطعتها جيني :

. ولكنني مخطوبة . . وسأ تزوج قريباً .

وبدا الارتباك على إيفا , وأخذت شفتها

بالارتجاف .

. جيني . . أنت لا تفهمين . . إنه يعتقد أنك

لا زلت زوجته .

. إنه مخطئ إذن .

. ولكن عليك أن تتظاهري لبضع دقائق . .

ستسبب الحقيقة

صدمة قاسية له . . . وأي شيء يمكن أن

يقلب توازنه . . فهل

تستطيعين تحمل موته على ضميرك ؟

. أوه . . . يا إلهي ! أنت تطلبين الكثير إيفا

!

وببطء سحبت الخاتم من يدها وسألت :

. والآن . . ماذا ؟

فتحت إيفا حقيبة يدها , وببطء مدت راحة

يدها المفتوحة

فأجفلت جيني مما رأيته هناك :

. لا . . لن أفعل !

. إنه يموت . . . ولن تتمكني من الرفض .

لن اسمح لك .

وارتجفت جيني , ومدت يدها إلى الخاتم ,

خاتم زواجها

القديم , ووضعتة في اصبعها . . إنه خاتم

وراثي للعائلة . . إيطالي

قديم الصنع , له شكل أفعيان ملتفان ,

ولطالما أثار التعليقات بين

صديقاتها . منذ خمس سنوات خلعتة ورمته

عبر الغرفة إلى والده .

وانحنى أنطونيو يومها ليلتقطه , ويتسم ببرود

ويقول بلؤم :

. سيعود الآن ليكون في اليد المناسبة التي

يجب أن تضعه لولا

أن تزوجك روبرتو .

أمسكت إيفا بذراع جيني لتضغط عليها :

. شكراً لك حبيتي . هيا الآن . . إنه

بانتظارك .

وأمسكت بيد جيني لتقودها إلى الداخل . .

التفتت الممرضة

الجالسة عند الطاولة بفضول , وأخذ قلب

جيني يخفق

بجنون , و بدأت تحس بالتعرق في يدها وعلى
مؤخرة عنقها عند
أسفل الشعر .

وعلمت أنها تعتمد ملاحظة تفاصيل ما حوله
كي لا تنظر

مباشرة إلى عينيه السوداوين البارزتين من
تحت الأربطة البيضاء .

. جيني !

صوته كالهمس . . أخف بكثير من أن يسمع
. . تقدمت من

سريره .

. كنت خائفاً من أن تكوني قتلت في الحادث

ويخفون الأمر

عني .

. كنت مسافرة . . . وعدت فور سماعي

بالخبر .

وتفحص وجهها بنظرته الساخرة المألوفة وتمتم

:

. لا بد أنك ذعرت . ولكنني أرفض الموت .

عندما أخفوا عني

أخبارك تساءلت اذا كنت سأحتمل الحياة

بدونك . . . ولكنني بعد

رؤيتك أنا مصمم على الخروج من هنا ,

حييتي .

والتفتت إلى إيفا , ثم عاودت النظر إليه ,

فرأته يقطب :

. ألن تقبليني جيني ؟

انحنت فوقه مرتجفة , وقلبها يضرب بصوت

مرتفع , ولا مست

خده بشفتيها . وكانت على وشك أن
تستقيم , ولكن يده السليمة
أمسكت بها , ثم لامست وجهها . . ووقعت
يده فجأة وأغمض
عينيه .

وأخرجتها إيفا من الغرفة وذراعها حولها :
. إنه دائماً هكذا ! فجأة يصحو ثم فجأة
يغيب . . . ولكن هذه

المرّة أظنه سينام مرتاحاً لعلمه أنك سالمة .
شكراً لك جيني .

. لا تشكريني . . بحق الله !

. أدرك أن الأمر كان محنة لك .

. محنة ؟ كان كالجحيم . . . مم تظنين أنني

مصنوعة ؟ من

حديد ؟ كنت مضطرة للوقوف هنا لتقبيله ,

وسماعه يناديني . . .

حبيبتى . يا إلهي . . كم أحسست بالدوار .

. . وأنت تشكريني ؟

وانتزعت الخاتم الذهبي الثقيل من إصبعها

وأعادته لإيفا :

. خذي هذا . لا أريد أن تقع عيناى عليه

ثانية . . أو على أى

واحد منكم !

اندفعت فى طريقها متجاوزة إيفا , وخرجت

راكضة من

المستشفى وكأنما الجن يلاحقها . . تنتحب

صامته . فى موقف

السيارات توقفت , لم تكن تدري كيف

تذهب . . . وفكرت

أخيراً . . سيارة تاكسي . . يجب أن تحصل
على تاكسي . واستدارت
نحو مكتب الاستعلامات لتستخدم الهاتف
كي تطلب سيارة تاكسي .
ووجدت نفسها تواجه جوليان , الذي نظر
إليها نظرة إشفاق غاضب
قائلاً :
. تبدين فظيعة .
. دعني وشأني جوليان . . أرجوك !
. لا تكوني سخيفة . . سأوصلك .

وانترعت ذراعها من يده .

. ألا تفهم ؟ لقد اكتفيت منكم ! أريد

الذهاب لوحدي . . لقد

اكتفيت من عائلة باستينو . . ليوم واحد !

ضحكت بهستيريا وأكملت :

. ماذا أقول ! ليوم واحد ! بل للعمر كله !

وقال بهدوء جعله يبدو أكثر نضجاً من سنه

:

. أفهمك . ولكنني لن اسمح لك بالذهاب

وحدك , فحالتك

بائسة . . . ولا يجب أن تتركي لوحدها جيني
. لقد أمرتني إيفا أن

أبقى معك إلى أن تصلي شقتك .
وحاولت الخلاص منه , ولكنه لم يتكرها تفعل
. . . وقادها

أخيراً إلى سيارته وادخلها إليها . . طريق
العودة كانت أكثر صمتاً من
ساعة الذهاب . خارج شقتها , نظر إليها
وهو يطفئ المحرك .

. جيني . . . أمي ارادتي أن أقول لك . . .

فصاحت يائسة :

. لا أريد أن أسمع شيئاً .

فتحت الباب وخرجت قبل أن يتمكن من

ملاحظة ما فعلت .

وخرج مستديراً أمام السيارة , ولكنها كانت

قد اصبحت داخل المبنى

ووجدت مفتاحها ودخلت الشقة , اقفلت

الباب , واتكأت عليه . . .

تتنفس بعمق .

وبدأت الدموع تنهمر على وجهها . . وقرع

جوليان الباب

وناداهـا دون جدوى . . فهي لن تستطيع

التحرك حتى ولو

أرادت . . . وأخيراً سمعت وقع أقدامه تبتعد

. . . . وببطء , انزلقت

على الأرض . . وغابت عن الوعي .

نهاية الفصل ((الأول)) . . .

. أقوى من النسيان

وقف غرانت في غرفة عملها مائلاً رأسه ينظر

إلى رسوم الأزياء

الملونة , بنظرات رصينة لطيفة .

. أنت تتحسّنين كل يوم . . ولسوف تلمعين

في عالم الأزياء

أكثر من داني أتعلمين هذا ؟

. وهل يعلم داني بذلك ؟

ضحكت ونظرات عينيها الخضراوين
تتراقصان .

. بالطبع يعلم . إنه يعرف أكثر من أي منا ,
دائماً يقول إنك
ستصبحين رائعة .

واقترب غرانت ليحديق بالخطوط الدقيقة
واللمسات الناعمة

لرسم زي الفستان أمامه :

. يعجبني هذا . . غريب كيف يبدو متماسكاً
عن بعد , ويزداد

غموضاً عن قرب .

. ليس من المفترض أن تنظر إليه وأنفك فوقه

.

واستدار لينظر إليها ضاحكاً , ثم تقدم

ليحتضنها ولا مس أنفه

خدها مداعباً :

. أنت لا تطايقين جيني .

. وماذا تعني ؟

. جميلة , ذكية . . وهذا ليس عدلاً .

فضحكت :

. ليس عدلاً ولمن ؟

. لكل إناث الأرض .

ونظرت إليه بعاطفة , ومالت بطريقة كلها ثقة

, ولفت ذراعيها

حول وسطه . . وهمست :

. ولكنني أحبك .

وارتفع حاجباه :

. عندما أطريك ؟

. بل في كل ثانية من اليوم .

. هذا ما أحب سماعه . . . والآن يجب أن

أذهب . . . فلدي

زبون أقابله بعد قليل .

. أيجب أن تذهب ؟ لم أراك كثيراً هذا الأسبوع

.

إنها بحاجة لرؤيته , وخاصة بعد زيارتها لروبرتو

. . . لم تكن قد

ذكرت شيئاً أمامه بخصوص الزيارة بعد , فقد

وجدت صعوبة في

محاولة الشرح , والله يعلم أنها قصة بسيطة ,
ولكن أي ذكر لروبرتو
باستينو يجعل غرانت يغضب .
وقال لها بلطف :
. بعد أن نتزوج ستتغير الأمور . . . ستصبح
مختلفة .
غرانت كان يحبها منذ سنوات طويلة , حتى
وهي متزوجة من
روبرتو . وكانت دائماً تعرف هذا . فهو لم
يبق الأمر سراً , ولكنها

لم تستجب له سوى في السنة الأخيرة , إذ
وجدت فيه الأمان الذي
تحتاجه .

قال لها وهو في طريقه إلى الباب :
. سيعود داني من باريس بعد يومين .
. أعلم . . لقد أرسل لي برقية . . لا بد أنها
كلفته ثروة ! إنها
رسالة أكثر منها برقية .
فضحك غرانت :

. أعماله رائجة , وباع كل التصاميم .

. هذا يفسر الأمر . هل أبرق لك أيضاً ؟
. لا . . بل اتصل هاتفياً . . من هي لورين ؟
. لورين ؟ لا أدري . . . هل ذكرها لك ؟
. عدة مرات , ولكنني لم أفهم ما هي علاقتها
به .

. أنت تعرف والدي العزيز . . . ربما تكون
عارضة أزياء .

فابتسم غرانت :
. آسف للسؤال .

فلكمته :

. ولماذا ؟ أنا فتاة كبيرة الآن , والأيام التي

كان يخبئ فيها

صديقاته عني قد ولت . أتساءل إذا كانت

تعرف الطبخ . . أتذكر

لينا ؟ كان طبخها كالحلم .

. وكانت عارضة أزياء رائعة . . . تلك

الأكتاف الرائعة . . .

وضحكا معاً . . . وقالت له :

. أيها المحتال . . . كتفها هاه !

ففتح الباب وقال :

. أنسى دائماً أنك لا تتأثرين بشيء .

. بعد عيشي مع داني طوال حياتي ؟ كيف

يمكن أن أتأثر من

شيء ؟

وقطب وجهه :

. ليس هناك شيء من الغيرة في نفسك . .

أليس كذلك جيني ؟

كلماته جعلتها تجفل واسودت عيناها . انحنى

وقبلها على

خدها ثم رحل . عادت إلى غرفة عملها ,

ووقفت قرب النافذة

تتمتع بشمس الخريف الدافئة , لقد تغير

الطقس في اليومين

الماضيين . وتوقف المطر والريح . وحدها

الأشجار العارية سوى

من بضع ورقات كانت تذكرها بالخریف .

ليس هناك شيء من الغيرة في نفسك ! إن

معرفته بها قليلة !

وفكرت بالمشاعر الوحشية الطاحنة التي
عذبتها مرة . . وامتدت
يدها إلى معدتها وكأنما تلك المشاعر قد
عادت لتعصرها ثانية .
وأغمضت عينيها وصرخت . . يا إلهي !
وبدا صوتها غريباً , مغايراً ,
في الغرفة المشمسة .
لم تسمع شيئاً من عائلة باستينو منذ هروبها
من المستشفى يوم

زارت روبرتو . . لا بد أنه استعاد عافيته ,

فهي لم تشاهد أي خبر

في الصحف عن موته . مجرد فقرة صغيرة

تروي الحادثة وتقول إنه

مصاب .

حاولت مرة الاتصال بالمستشفى لتسأل عنه

, وبالرغم من

امتداد يدها إلى الهاتف , إلا أنها تراجعت . .

فلو أنه مات لأبلغت

بالأمر . ولكن أحلامها كانت تفيض بذكره
كرامتها وحدها منعتها .

من العودة إلى المستشفى لرؤيته ثانية , ولو
للحظات , و لتسمع

صوته الأبحش يقول ((حبيتي)) .

واستدارت غاضبة عن النافذة لتجلس وتبدأ
العمل . . وأخذت

ترسم وجه فتاة ترتدي الزي الذي تصممه .
. . ثم توقفت فجأة

لتنظر إلى الرسم بذهول . . . قسمات وجهه
أندرو الطفولية أخذت
تبدو لها من خلال الرسم . فأجفلت .
ومزقت الورقة من دفتر الرسم , وكادت
تقطعها لولا رنين
جرس الباب الذي أوقفها فوضعتها من يدها
وتوجهت لتفتحه .
ووقفت إيفا بلطف , وقساوة معاً . وجهها
النحيل مليء
بالتصميم . .

وتنهدت جيني :

. ماذا تريدین ایفا ؟

العینان السوداوان کانتا ثابتین :

. ألا تريدین معرفة ما إذا کان قد مات أم

بقي حياً ؟

. لو أنه مات لعرفت . . . العالم كله کان

سيعرف .

وهزت ایفا رأسها :

. كيف يمكن لك أن تكونی قاسية ؟ إنه

بحاجة لك . اذهبي

إليه . . لم ابتعدت ؟

رفعت جيني كلتا يديها لتمررهما على شعرها

لتخرب تصفيفته

الناعمة :

. إيفا . . أشفقي علي لأجل الله !

. كنت أتمنى أن لا أطلب هذا منك . . .

ولكن روبرتو هو في

المقام الأول عندي يا جيني .

. إنه هكذا دائماً . . إنه الأول لدى الجميع

.

فحملت إيفا بها بعينين واسعتين :

. ألهذا الدرجة مرارتك , لقد كان فاقد الوعي

معظم الوقت منذ

أن زرتيه . . ولكنه استفاق الآن . . وهو

يسأل عنك ثانية .

فشحب لون جيني واشتد بياضه :

. أتعين أنه لم يسترجع ذاكرته بعد ؟

فهزت إيفا رأسها نفياً . . . فاستدارت جيني

إلى الشقة :

. يا إلهي !

ولحقت بها إيفا , تنظر من حولها بفضول ,

تلاحظ ترتيب غرفة

العمل , وكيفية تعليق رسومات الأزياء فوق

الحائط وعلى الرفوف .

. إذن . . هنا عاملين ! لقد بدأت تحقيق

النجاح . هكذا

سمعت . ولا بد أن والدك فخور بك .

. أجل . . إنه فخور بي . . إيفا . . لن

أستطيع الذهاب . . إذا

كان قد أصبح بصحة أفضل . . فيجب
إعلامه بالحقيقة .
. ونقتله !
. لن تقتله الحقيقة !
. لقد سمعت ما قاله . . بدونك لا يريد
العيش .
واستدارت جيني على عقبيها , مرتجفة ,
عيناها مليئتين
بالاثم :

. كلانا يعرف إنه عاش من دوني خمس

سنوات . ولن يموت

الآن لمجد تذكره أنني لم أعد زوجته .

. ولكنه لا يتذكر , وصدمة إبلاغه ذلك قد

تحدث له ضرراً لا

يمكن إصلاحه .

بالرغم من اضطرابها , ضحكت جيني :

. إنه أقوى من هذا . . . رأسه أقسى من

الصلد .

. كان هكذا . . . ولكنه الآن ضعيف , هش

, يتمسك بالحياة

بخيطة رفيع , وأنا أرفض قطع ذلك الخيط

بقولي له ما يرفض

سماعه .

والتقت عيناهما . . فتنفست جيني بصعوبة :

. لا يريد أن يسمعه ؟ ماذا تعنين ؟

فتمتت إيفا :

. أوه . . . جيني . . . أنت تعرفين بالضبط

ما أعني . . . لقد

حصلت على رأي أخصائي نفسي بهذا الأمر
. . روبرتو لم يفقد

ذاكرته فقط . . بل إن عقله الباطن يرفض
أن يتذكر .

وأخذت جيني تتحرك بقلق :
. ولماذا ؟ . . أعرف ما تحاولين عمله إيفا . .
. ولكنك لن

تنجحي . . يجب أن تتقبلي أنني و روبرتو
قد انتهى أمرنا معاً ,

وهكذا كان منذ خمس سنوات . وحادثته لن
تغير من الواقع شيئاً .

بعد ثلاثة أشهر سأتزوج ثانية . وأنت تعرفين
هذا .

وتجاهلت إيفا ملاحظتها وقالت بخشونة :
. روبرتو يحمي نفسه . . . هذا ما قاله

الطبيب النفسي . . . إنه

يعرف أنه مريض وقد يموت . . . لذلك عاد
إلى أيامه السعيدة

معك , وهذا يشعره بالأمان . ويعطيه سبباً
ليعيش من أجله
. أتعرفين ما تقولين ؟ إنها ليست الحقيقة .
. يا عزيزتي . . أنا واثقة . . روبرتو لم يفقد
ذاكرته نهائياً , بل
فقد الجزء الأخير منذ فقدك . لقد أقفل
عليها الباب . حتى
أندرو . . ابنه . . الذي يحبه . .
صدقيني . . لا يذكره . ولا

يمكن له أن يرفض تذكر ابنه للاشيء . ومع
ذلك ينظر إلى الولد
دون أحساس ويسأل : من هذا ؟
وعضت جيني شفتها .
يا للولد المسكين ! وهل تألم لهذا ؟
فتنهدت إيفا :
. لقد تكدر بالطبع . ولكنني أبعدته عن الجح
, وشرحت له أن
إصابة أبيه جعلته يفقد ذاكرته , وأظنه فهم
الأمر .

واستدارت جيني . . . تلف ذراعيها حول
نفسها وكأنها تكاد

تتجمد من البرد . . . وقالت :
. مهما يكن . . . لن أستطيع الذهاب .

وتقدمت إيفا من الطاولة , حيث ورقة الرسم
المنزوعة من

الدفتري الكبير . . . والتقطتها لتنظر إلى الرسم
غير مصدقة :

. هذا عظيم . . . عظيم جداً . . . كم أنت
بارعة يا جيني !
فاحمر وجه جيني .
. أوه . . . إنه مجرد خربشة من الذاكرة .
. ولكنك التقطت ملامح وجهه ببراعة . هل
لي أن أحتفظ بها ؟
سأحافظ عليها كأنها كنز . . . جيني . . .
أرجوك !
. بالطبع .
. شكراً لك .

ونظرت إليها إيفا بعينين دامعتين :

. أرجوك اذهبي إليه . . أرجوك !

وتأكدت جيني أن لا مفر لها . . وستبقى

إيفا هنا إلى أن توافق

فقالت :

. أوه . . . حسناً .

وفي السيارة سألتها إيفا .

. ماذا قال خطيبك عندما أخبرته عن روبرتو

؟

. لم أخبره بعد .

. ألا يعرف شيئاً عن حالته ؟

. أشك في أنه يعرف عن الحادثة أصلاً .

. وهل تظنني سيمانع ؟

فضحكت ببرود :

. تعرفين جيداً أنه سيمانع , فأنا خطيبته ,

ومع ذلك أذهب

لأقف قرب فراش رجل آخر وأتظاهر إنني

زوجته . . فماذا تتوقعين

منه ؟

. مما أذكره عنه , مع ما قلته , كان دائماً

لطيفاً واسع المخيلة . . .

وبالطبع سيفهم .

توقفت السيارة خارج المستشفى , ولحقت

جيني بإيفا إلى

الفناء الداخلي , ثم إلى المصعد . . . خارج

غرفة روبرتو توقفتا ,

ومدت إيفا يدها إلى جيني :

. الخاتم .

ارتجفت يد جيني وهي تأخذه . وفتحت إيفا

الباب هامة :

. سأنتظر في قاعة الانتظار .

بعد لحظات دخلت الغرفة . . وكانت

فارغة وصامتة . .

والطيف الملفوف بالأربطة فوق السرير لم

يتحرك وهي تتقدم إليه .

ووقفت بهدوء إلى جانبه . . . ثم انحنت غير

قادرة على مقاومة

إغراء يدفعها , ولمست بشفتيها جبينه .

وعلى الفور امتدت يده لتلتف حول عنقها .

فرفعت نظرها

لترى أن جفنيه قد ارتدا عن عيني السوداوين

, وهمس :

. جيني . . . حبيتي . . . أخيراً . . أين كنت

؟

وحاولت الابتعاد عنه دون جرح مشاعره ,

ولكن يده كان لها

قوة غريبة ولم تتركها . . فقالت :

. تبدو أفضل حالاً الآن .

. قبليني ثانية . . . كنت نائماً . . هذا

ليس عدلاً . . أريد أن

أكون مستيقظاً عندما تقبليني .

وقبلته بخفة , ولكن يده ضغطت على عنقها

, وأبقت وجهها

قربه بينما كان يمرر فمه على خدها .

لم تكن تتصور مطلقاً أنها ستشعر ثانية بهذه

المشاعر معه .

وآلمها ذلك حتى أنها أرادت أن تهرب .

وتخلصت من قبضته ,

ووقفت ويداه متشابكتان . . تتنفس وكأنها
كانت تركض .

وتحرك بقلق . . ولاحظت الألم في عينيه ,
وسألها :

. ما بك ؟

. يجب أن تبقى دون حراك . . . فالتكدر لا
ينفعك .

. ولكنني سأتكدر أكثر لبرودك معي . .
تبدين أكبر سناً . . .

هل يجب أن تبقى هذه الستائر مسدلة فوق

النافذة ؟ أريد أن

أراك . . . اقتربي مني .

واستدارت لتجر الكرسي وتجلس قرب

السريـر , مبقية رأسها

بعيداً . . لا بد أنه سيلاحظ التغير عليها ,

فذاكرته تفتش عن الفتاة

ذات التسعة عشر سنة . وهي الآن امرأة في

الرابعة والعشرين .

. لا يجب أن أبقى طويلاً .

. ولكنك وصلت لتوك . . ما الأمر . .

لماذا تبتعدين عني

هكذا ؟

فاستجمعت كل شجاعته , ومالت إلى

الأمم مبتسمة :

. آسفة لهذا . . كنت قلقة عليك .

فانفجرت أساريه :

. بالطبع ! يا عزيزتي المسكينة ! آسف لأنني

سببت لك

التعاسة . أنت صغيرة على وضع كهذا . . .
يا حبيتي . والأمر
صعب عليك . ولكن لست أدري ما حدث
, ولا كيف حدث , كل
ما قالوه لي إنني حطمت السيارة .
وبدا مريضاً , ضعيفاً , ولكن لم يبدُ أنه يموت
. . إنه منطقي ,
وواضح التفكير .
. لقد انسكب الزيت من صهريج , وتزحلق
السيارة فوقه .

فقطب :

. ومتى كان ذلك ؟ آخر ما أذكره هو رحلتنا

إلى لندن . أذكر

عودتنا من مطار هيثرو . . وكنت معي في

السيارة . . . يومها لم

لم تحصل حادثة أليس كذلك ؟

و أحست بألم في حلقها , وابتعدت بصعوبة

.

. لم أكن معك ساعة الحادثة .

. لا . . أمي قالت هذا . . أذكر . . لماذا

تأخرت عن المجيء ؟

أين كنت ؟ مع داني كما أعتقد ؟ ومع

صديقك العزيز غرانت ؟

ووقفت بقوة عن الكرسي حتى كادت

الكرسي تقع .

. يجب أن تنام الآن روبرتو . لقد وعدت

الطبيب أن لا أبقي

أكثر من دقائق .

. أبقى هنا . . لم تردى على سؤالى . . هل
كنت مع غرانت
كراولى ؟
. لا . . . لم أكن معه . . . كنت مع أبى فى
باريس .
وبدت عليه الراحة :
. أوه . . . أنا آسف حبيبتى .
. والآن يجب أن أذهب .
فهمس :
. قبلينى .

وقبلته . رغم إحساسها بالعذاب ,
وداعبت يده شعرها
الحريري . فارتجفت , ثم عاد إلى الاستقاء
متنهداً , وبدأ لها مرهقاً
حتى أن مشاعر الحنان لديها تحركت نحوه .
فقالت له متوسلة :
. عدني أن تنام الآن .
فابتسم وتمتم بصوت ضعيف :
. أعدك .

وقبل أن تتركه كان يغط في سبات عميق .
وكان مع إيفا رجل قصير ممتلئ تبدو عليه

الأهمية . فابتسم

لها ومد يده :

. آه . . سيدة باستينو , سعيد جداً لمقابلتك

.

فردت جيني بحدة وهي تنظر إلى إيفا :

. أن الأنسة نيوهام .

وقالت إيفا :

. هذا هو السيد كيلى , الأخصائى الذى

سيتولى معالجة

روبرتو .

ونظرت إليه جينى دون اهتمام :

. هل أنت طبيب نفسانى ؟

فرد بسرور :

. من بين عدة أشياء . . كيف وجدت زوجك

؟

فردت بحزم :

. نحن مطلقان .

فابتسم :

. ولكنه لا يعتقد هذا .

. مهما كان يظن . . فنحن مطلقان .

. قانونياً أجل . . . ولكن إذا لم يكن يتقبل

الأمر . . . فأنت

مجبرة .

. هذا مناف للعقل !

فابتسم بخبت :

. ولكنك هنا سيدة باستينو , وهذا يدل على

أنك تتقبلين فكرة

ارتباطه بك .

بدت عليها الصدمة والشحوب .

. لقد جئت لأن أمه توصلت إلي .

. وإن يكن . . مهما كان السبب الذي

تبررين لنفسك به , فلقد

جئت . وهذا ما يقول لي إنك ملتزمة به .

ووضعت جيني قبضتها على جبينها :

. لا !

وأدار الرجل القصير ابتسامته نحو إيفا :

. هل لي أن أتحدث إلى السيدة باستينو على

انفراد ؟

وأمسك بذراع جيني .

. هل تسمحين أن تأتي معي إلى مكثي ؟

فقلت إيفا :

. سأنتظرك هنا عزيزتي .

وقدم لها كرسيًا أمام طاولته , وجلس

مبتسماً :

. زوجك لا يذكر الحادثة . . أتعرفين هذا ؟

. قال لي .

. وهل قال لك آخر ما يتذكر ؟

. أجل .

. وهل تسمحين بقوله لي ؟

فهزت كتفيها :

. لست أرى حقاً . . .

. أرجوك !

فتنهدت :

. آخر ما يذكره رجوعنا من رحلة إلى لندن .

. ومتى كان ذلك ؟

. منذ أكثر من خمس سنوات .

. وهل لهذا أي ميزة لديك ؟

وجمدت الابتسامة على شفيتها . . ميزة ؟ .

. أجل . . إنها تذكر :

. بعد أيام من عودتنا تشاجرت معه وتركته

وعدت إلى منزل

أبي . . .

ولم تستطع أن تكمل , وارتجفت شفاتها ,

واندفعت الدموع

إلى عينيها .

. وبعدها . . .

. لم يكن مخلصاً لي .

. وهل اكتشفت هذا بنفسك ؟

وهزت رأسها ايجابياً وهي تتذكر , لقد نامت

عند والدها ليلة . .

ثم في الصباح اكتشفت خطأها , فأخذت

سيارة تاكسي إلى منزلها

في الصباح الباكر , وبكل الحب والشوق

ركضت لتصل إلى غرفة

نومها , غرفتهما , وفتحت الباب لتجمد

وكأنها تلقت رصاصة في

قلبها .

من على الوسادة قرب رأس روبرتو الأسود ,

رفعت جيسكا

رأسها ذي الشعر الأحمر مبتسمة , ولم تقل

كلمة , بل تحولت

البسمة إلى ضحكة . . . وأخذت العينان

السوداوان تسخران منها .

واستدارت جيني دون كلمة وخرجت من

المنزل . . . فيما بعد

ذلك اليوم جاء روبرتو ليراها . ولكن والدها

رفض السماح له

بالدخول . ومن غرفتها في منزل والدها

سمعت الصراخ . . . وحاول

روبرتو اقتحام طريقه إلى الداخل . . .

ووصل غرانت . . . وكانت

معركة قاسية , شهدت كل فصل منها وهي

ترتجف وتحس بالسقم .

و معاً . . تمكن والدها و غرانت من طرده .

وفي اليوم التالي كانت

جيني في طائرة متجهة إلى لندن للإقامة مع
عمتها هناك . . . ومن
هناك أرسلت وكالة لمحاميها لإجراء الطلاق .
وأرسل روبرتو عدة
رسائل لها . . لم تفتح أي منها . . . وعادت
لتنتم إجراءات الطلاق
في أمريكا . . . وبعد أسبوع تزوج روبرتو من
جيسكا . وبعد الزواج
بثلاثة أسابيع ولدت له أبنها , أندرو . .
الولد الذي وضع روبرتو

كل دمغات العائلة عليه , ولا مجال له

لإنكار بنوته .

. وهكذا تطلقتما ؟

. أجل .

. وهل رأيته منذ تركته ؟

. لا

. إنها قضية فتحت وأقفلت . . . أليس

كذلك ؟

. صحيح ؟

. هيا الآن سيدة باستينو . . .

فصاحت بشراسة :

. لا تناديني بهذا الاسم !

. يا عزيزتي الشابة , وماذا في هذا الاسم ؟ لا

يمكن الجدل

حول الأمر , فزوجك بكل مرارة نادم على

الطلاق . ويرفض كل ما

مر به منذ يوم تركته . لقد أبعد تلك الفترة

عن ذاكرته , لأنه في

حالته الحاضرة , عقله الباطن يعف أنه لا

يستطيع مواجهة تلك

المرحلة من جديد . وإلى أن يستعيد عافيته
سوف يستعيد ذاكرته .

. وماذا إذن ؟ لا أستطيع الاستمرار في

الادعاء . فأنا مخطوبة

لرجل آخر .

. هكذا عرفت . . . منذ متى أنتما مخطوبان

؟

. منذ أكثر من أسبوع .

. واتسعت عيناه بخبث .

. حقاً ؟ هذا مثير للاهتمام !

وحدقت به جيني . . . لماذا يتسم هكذا ؟
هل أعلنت خطوبتكما في الصحف ؟
طبعاً . . .

شهرة داني في عالم التصميم , وشهرة دار
الأزياء التي يملكها
غرانت , جعلت نشر الأمر محتملاً . حتى أن
عدة صحف نشرت
قصصاً صغيرة حول الأمر .
هل تذكرين تاريخ ظهور تلك القصص ؟

. يوم الخطوبة بالضبط . . . أوه . . . لا في

اليوم التالي . . .

وتوقفت عن الكلام فجأة وكدقت بالرجل .

. . ثم قالت ببطء :

. يوم . . حصلت . . الحادثة . . لـ روبرتو !

فابتسم , وبدأ الرضى على وجهه .

. بالتحديد . . . هذا ما كنت أرتاب فيه . .

. وكما قلت قضية

فتحت وهي مقفلة . . . وواضحة جداً .

. بل أكثر من واضحة . . . وأنا لا أصدقها

.

وضم يديه معاً وكأنه يصلي . . . وابتسم

دون أن يخفي رضاه :

. وهل لديك تفسير آخر ؟

فوقفت :

. ليس في الوقت الحاضر . . . ولكنني

سأفكر بتفسير آخر .

وانفجر ضاحكاً .

. افعلني هذا أرجوك سيده باستينو .

فحملت به غاضبة , وقالت بعد تفكير :
. ألم يتبادر إلى ذهنك لو أن ظهور خبر

خطوبتي هو سبب

حادثة اصطدام سيارة روبرتو . . فقد يكون

فقدان الذاكرة شيئاً

متعمداً ؟

فاتسعت ابتسامته :

. بالطبع . . . ولكن ليس بالضرورة كما

تعين أنت . فهو لا

يدعي سيدة باستينو . . لقد فقد الذاكرة

حقاً للخمس سنوات

الماضية . لقد جاهد عقله بكل طاقته ليقفل

الستارة عن الذكريات

المؤلمة لحماية نفسه . وكما قلت , عندما

يستعيد عافيته الجسدية ,

سيسمح عقله للذاكرة أن تعود .

. وحتى ذلك الوقت ؟

فهز كتفيه .

. يجب أن أصر على أن لا تحريره من هذا

الوهم إلى أن

أسمح أنا بذلك . فقد تكون الصدمة مؤذية

جداً له .

وحدقت بالأرض تعض شفتيها :

. لن يموت . . . وأنا واثقة من هذا . لقد

كان أقوى بكثير اليوم

عما شاهدته أول مرة .

. ولكن الصدمة قد تقتل أي إنسان وهو

بصحة كاملة ,

صدقيني ! وعندما يصاب شخص كزوجك
سيكون الخطر مضاعفاً .

وأغمضت جيني عينيها . . . وهمست

بيأس :

. أوه . . . يا إلهي ! . . . لست أدري كم

أستطيع أن أتحمل

بعد .

* * *

نهاية الفصل ((الثاني)) . . .

3 . القلب الخائن

كان الخريف قد بدأ يولي ممهداً لقدوم فصل

الشتاء الذي

ييطئ بنعومة متمثلاً بضباب صباحي ,

وطقس مكفهر بارد ,

وزخات من المطر . بقيت الحرارة مرتفعة أكثر

من المعتاد , فترى

النساء والرجال يسرون في نزهاتهم باللباس
الصيفي الخفيف .

بالغرم من كل حكمتها , استمرت جيني

بزيارة روبرتو في

المستشفى . . وكانت تمضي معه يوماً نصف

ساعة جالسة قرب

سريره . . تمسك بيده . . تراقب النور

الساطع في عينيه وهو

يتأملها . كان يمازحها بلطف , كما كان يفعل

في الأشهر الأولى

لزوجها . . مظهراً لها الحنان الدافئ . الذي
تذكره بحزن وأسى .

تلك الأشهر الأولى كانت أكثر اللحظات
سعادة في

حياتها . . فروبرتو مُحِبٌ مثير , حساس ,
يعي تماماً براءتها . يحبها

ويحميها , وإن كان يجرفها معه في لجج رغبته
الحارة , العقبة

الوحيدة التي كانت تعكّر صفو تلك السعادة
التامة كان والد زوجها

أنطونيو وعدائته نحوها فهو لم يكن يخفي عن
أحد رغبته في أن

يتزوج ابنه من ابنة عمه جيسكا .

بعد عودتهما من رحلة إلى لندن , كمحاولة

يائسة لاستعادة

سعادتهما , عادت المشاكل حال وصولهما

إلى نيويورك . فقد كان

موعد حفلة عيد ميلاد جيسكا ليلة وصولهما

. . وكانت جيني حينها

متعبة من السفر , فأوت إلى الفراش باكراً ,
بينما بقي روبرتو ليحضر
الحفلة .

لم تستيقظ جيني إلا بعد منتصف الليل على
صوت موسيقى
منبعثاً من الأسفل . نهضت من فراشها ومن
على فسحة السلم
تطلعت إلى المرأة الضخمة التي تعكس ما في
الصالون الطويل ,

فشاهدت جيسكا , مغمضة العينين , تسبح
مع الموسيقى بين ذراعي
روبرتو . فعادت إلى فراشها متوترة , والغيرة
تنهشها . . . ولم تغط
في النوم إلا حوالي الرابعة صباحاً ولم يكن
روبرتو قد عاد بعد إلى
فراشه . . . مع أن المنزل كان خالياً يسوده
الصمت .
وكان هذا بالطبع سبباً لخلاف آخر . وتدخل
أنطونيو باستينو

بعنجهيته وكبريائه , مقطباً وجهه قائلاً لها :
. إذا كنت تغارين من جيسكا فاسألي نفسك

عن السبب ! ألسنت

تغارين بسبب معرفتك أنها هي امرأة من

طبقته , وليس مجرد فتاة

جميلة جاهلة نكرة .

عندها خلعت جيني خاتم الزواج من يدها

لترمي له بينما ظل

روبرتو صامتاً لا يفوه بكلمة . وسارعت إلى

منزل أبيها , معتقدة أن

لروبرتو نفس وجهة نظر أبيه , وأنه قد ندم

على زواجه منها , لكنها

مع بزوغ أول شعاع لضوء الصباح سارعت

إلى منزل باستينو

لمحاولة كسب ود زوجها , مهما يكن الثمن .

ما شاهدته يومها لم يكن ليفارق مخيلتها ليلاً

ونهاراً ولأشهر

طويلة . . . روبرتو غافٍ في فراشه . . وإلى

جانبه جيسكا يعلو

وجهها بسمه انتصار .

لم تنزل هذه الذكرى تحز في نفسها حتى هذه

اللحظات . . لم

لم تستطع النسيان , كانت تعرف بالطبع , أن

هناك الكثير من النساء

قبلها . . ولكنها آمنت بكل سذاجة , أن

روبرتو بعد قسمه

بالإخلاص , لن يفعل ما قد يسيء إليها .

لم تخبر غرانت بالأمر بعد . . بغريزتها أدركت

أنه

سيغضب . . . وربما يمنعها من زيارة روبرتو .
وهي تعرف أنها لن
تستطيع أن تمتنع عن ذلك .
هذا ووضعها النفسي السيء أثر في نتاج
عملها , وبدأ أنها
فقدت الدافع للعمل . كانت مضطرة لإجبار
نفسها على التقاط أقلام
التلوين , إذ إن يديها بدتا لها متخشبتان
مترددتان .

وصل غرانت بعد ظهر ذلك اليوم وهي

تروح وتجيء متنهدة

أمام رسوم تصميماتها , فوق قربها مقطباً :

. هل هناك شيء ما ؟

فنظرت إليه متوترة :

. ولم تسأل ؟

فضحك مشيراً بإصبعه إلى الصورة :

. يا فتاتي العزيزة ! لم أعهدك خرقاء في عملك

. . أرى أنك

هنا أعدت الرسم فوق الرسم أكثر من مرة .
 . . ومع ذلك فهو لا

يزال سيئاً . . أليس كذلك ؟

ولم يكن هناك جدوى من الإنكار , فهو
يعرف عن فن التصميم

الشيء الكثير أكثر مما يعرفه كبار الرسامين .
فقالت له بعد تردد :

. أظن أنه قد حان الوقت لأقول لك شيئاً .
أجلس يا غرانت .

فنظر إليها متوتراً مقطباً وسألها مازحاً :

. وهل سأحتاج إلى ما يعيدني إلى الصحو إن

أغمي علي .

فضحكت جيني وأخبرته القصة بشكل سريع

بكل صراحة ,

وخشونة وشاهدت وجهه يتصلب ويسود ,

وبدأت الشعلات

الحمراء تغشى عينيه :

. يا للبحيم . . . لا بد أنك فقدت

عقلك . . أنت تزورنه

يوميًا منذ أسابيع دون إعلامي بالأمر ؟

أتكذبن علي ؟ تغشيني ؟ لا

أستطيع أن أصدق أنك فعلت هذا يا جيني

!

فقلت بأسى :

. لم أكن أتصور أن الأمر سيستمر طويلاً .

لقد أخبروني أول

الأمر بأنه سيموت فلم استطع الرفض ! ثم

قال الأخصائي النفسي إن

هو اكتشاف أمر طلاقنا قد يصاب بصدمة .

. فكيف يمكن أن لا ألبى

طلبهم وألعب الدور المطلوب مني ؟

. أخبريني بالأمر على الأقل , كنت استطعت

التعامل معهم .

هذا إن كنت راغبة في تدخلتي , ولكن يبدو

أنك لست راغبة . أليس

كذلك جيني ؟ أظن أنك تودين الذهاب

لرؤيته , رؤية ذلك الوغد

الإيطالي السافل ! لم تتمكني أبداً من

التخلص من ذكراه . . أليس

كذلك ؟ ظننت لفترة أنك نسيته تماماً . . .

ولكن لحظة أشار لك

عدت زاحفة إليه كالبلهاء وتركته يستغلك

كما كان يفعل من قبل .

. ولكنه مريض للغاية !

فضحك بخشونة :

. كم هذا مقنع !

. غرانت . . إنه مريض ! كان على شفير

الموت ! لو أنك

شاهدته في اليوم الأول . . كم كان شاحباً

ومتلاشياً كالأموات .

بالكاد كان يصدر حركة أو صوتاً .

والتوت شفتا غرانت بتكشيرة غضب :

. إذاً أصبحت ملمة بكل ظروفه وجميع

احتياجاته , أليس

كذلك ؟ لقد أجبرك على الحضور . . ألم

يفعل ؟

. غرانت , كان علي الذهاب , اللياقة تقتضي

ذلك !

وأمسك كتفيها بكلتا يديه وهزها بعنف ,

فتصلب وجهها وهي

تنظر إليه مذهولة وعيناها الخضراوان

شاخصتان وصاح بها :

. أنت أردت الذهاب ! اعترفي بذلك !

واشتد غضبها , منه . . . وأصبحت شرسة

. وفقدت السيطرة

على تفكيرها , فافلت لسانها وصاحت به .

. حسن جداً . . هذا ما أردته . . أردت رؤية

ثانية . . . لأنني

أحبه !

وقطعت الكلمات بصمت متوتر , وأغمضت

عينها لفترة

قصيرة . ثم نظرت بحزن إلى غرانت :

. آسفة يا غرانت . ليس الأمر بيدي . . . لم

أرد ذلك . .

ولكن هذا هو الواقع . . . أنا مجنونة به .

فقال غرانت بوضوح وبرود :

. أجل . . . أجل . . أعرف هذا . هذا ما

عرفته دوماً . كان

واضحاً منذ البداية . . نظرة واحدة منه

أوقعتك في غرامه . . وكنت

غيباً إذ ظننت أنك قد شفيت من حبه .

أخففت جيني رأسها باستسلام , وقد انتابها

الندم المرير . ثم

سحبت خاتم الخطوبة من أصابعها وأعطته

إياه :

. أنا آسفة جداً لهذه النهاية بيننا .

تنفس غرانت بحدة , ناظراً إلى الخاتم وكأنه
يراه لأول مرة . . .

ثم تنهد :

. اسمعي يا عزيزتي . أنا آسف لعدم

سيطرتي على أعصابي .

فهل تستمعين إلى بهدوء للحظات ؟

. بالطبع . فحي لروبرتو لن يؤثر مطلقاً

على تعلقي بك . ولم

يكن يوماً ليؤثر . . لقد تعارفنا منذ زمن

طويل . . .

فابتسم وشعرت أنها آلمته بهذا الكلام أكثر

مما أرضته :

. لا تعيدي إلى الخاتم الآن . أبقيه في الوقت

الحاضر . ولا

تخبري أحداً أن علاقتنا قد انتهت .

وبدا عليها الارتباك وعدم الفهم :

. ولماذا ؟

. لأجل حمايتك . فأنا لا أثق بعائلة باستينو

, كما لم أثق بهم

من قبل . ولا أصدق ادعاء روبرتو بفقدان

ذاكرته . . . إنه خنزير

ذكي .

. أوه غرانت ! أنت لم تره حقاً !

فابتسم بقلق :

. أوه . . أنا لا أشك في أنه مريض بعد

حادث تحطم سيارته . .

ولكن ليس هناك من طريقه لمعرفة هذا

الادعاء بفقدان ذاكرته كما

هي الحال مع عظم مكسور مثلاً . ربما هو
يحتال على الجميع .
. ولماذا يفعل ؟
فهز كتفيه :
. لقد نجح . . . ! واستعادك , ألم يفعل ؟
فاحمر وجهها :
. لو كان يريدني لحاول سابقاً أنسيت أن
زوجته قد ماتت منذ
سنتين . . . ولم يحاول التقرب مني بعدها
مطلقاً . . . فلماذا انتظر

هذا الوقت كله ؟

. ومن يعرف لماذا بحق الشيطان ؟ إنه خبيث

ماكر . . . رجل

أعمال له تكتيكات ناجحة . جيني . . أنت

تقرأين الصحف وتعرفين

كم عدد النساء اللواتي شوهد معهن . . .

علاقاته بالنساء قدرة . .

هل هو من نوع الرجل الذي ترغبين فيه ؟

رجل لا يمكنك أن تثقي

به ؟

وأحست جيني بالغثيان , ووضعت يدها على
معدتها ,

وارتجفت شفتاها . . وهي تقول بصوت

هامس :

. لا . . ليس هذا ما أريده . . لا . . بالطبع
لا .

. إذن . . لماذا ؟

ونظرت إليه عاجزة .

. في هذه اللحظات , لأنه يحتاجني !

فضحك . . وصاحت غاضبة :

. إنه بحاجة لي وطالما عرفت هذا فأنا لن

أخيب أمله . لقد

حاولت , وكتمت مشاعري , ولكنني . الآن

لم أعد اقدر . أنا ضعيفة

غبية , ربما . لكن لا حيلة لي حيال هذا

الأمر .

. حسناً . . ولكن , ولأجل حمايتك استمري

في ارتداء

خاتمي . . وانتظري . . لا تلتزمي مع هذه

العائلة ثانية قبل أن تعرفي

حقيقة الموقف , ولا تعرضي نفسك لأي

خداع ثانية .

. أنت رجل رائع يا غرانت , وكنت أتمنى من

الله لو أنني

أحببتك كما أحببتني .

فضحك عميقاً :

. وكذلك أنا يا عزيزتي . فأنت جميلة , يا

لأسف أن باستينو

هذا لم يقتل في تلك الحادثة .

. غرانت . . . لا تقل مثل هذا ولو على

سبيل المزاح .

. ولكني لا أمزح . لو لم تلتقي به لكنا تزوجنا

منذ زمن

بعيد . . . وأنا واثق أنه سيرفك على

أسنانك مرة أخرى يوماً ما .

وسأكون يومئذ بانتظارك .

. . . واستدار ليغادر المنزل دون كلمة وداع . . .

فوقفت مكانها . .

ترتجف ضائعة بين رفضها لقوله وتصديقها له

.

كانت الرباطات قد أزيلت عن رأس روبرتو

يوم زارته .

ضحكت وهي تنظر إلى خصل شعره الأسود

المبعثرة فوق جبينه .

. تبدو كالطفل . .

فرد بمرارة .

. بل أبدو كالأبله .

وأخذ يتحدث عن مشاريعه , ممسكاً

أصابعها في يده , يعبث

بها ملاحظاً كيف تختفي في راحة يده الكبيرة .

. فكرت أن نذهب إلى إيطاليا .

واستوت في جلستها لتتحسس جسدها

الذي تجمد من هول

المفاجأة .

. إيطاليا ؟

. نيويورك باردة في الشتاء , ولقد اشتقت إلى

أجواء بلادي . .

يمكن إعادة فتح الفيلا وتحويلها في مدة

قصيرة . . ويمكن أن نطير

إلى هناك فور مغادرتي المستشفى .

كان قلبها يضرب كطبول الغاب , شفتاها

جافتان من شدة

التوتر . . يجب أن يعرف . . لن نستطيع

السفر معه . . هذا أمر لا

يمكن التردد فيه .

وسألها متعجباً :

. لماذا تصمتين ؟

. كنت أفكر . السفر قد يكون متعباً لك .

وسيصيبك بالإرهاق .

. هراء !

ونظر إليها بوجه ضاحك وابتسامة ساخرة

تذكرها جيداً ,

جعلتها تمسك أنفاسها وترتعش ثم همس :

. أعتقد أنك تشعرين بالخبجل . . ربما لأن

فراقنا قد طال ؟

فكرت بسرعة . . ماذا يعني ؟ وأكمل بركة

:

. هل نسيت وأنا مريض أنك امرأة متزوجة ,

وأنت زوجتي ؟

سأغير هذا الوضع قريباً يا حي . . .

وسأكون مسروراً بأن أذكرك

بأنك ملكي .

ودفعها الذعر لمحاولة جذب يدها من يده ,

ولكنه شد قبضته

على أصابعها , موجهاً نظرة حادة إلى وجهها

المضطرب .

. كنت أظن أن هذا التمتع اللذيذ قد ولى

زمنه . . . ولكنني

أرى العكس .

اقترب منها , رفع راحة يدها وقبلها , ثم

أحاطها بذراعه ملامساً

بشرتها الزهرية , وأخذ يقبل باطن كفيها

مرات ومرات .

أحست بقلبها يخفق خففاً متلاحقاً ثم ضمها

إليه بقوة فشعرت

أنه سيحطم عظام صدرها , أبعدته عنها

ونظرت إليه . . تكرهه . .

وتحبه في آن . وسارعت إلى إبعاد نظراتها

عنه عندما أحست بثقل

نظراته عليها .

. ربما ستمكن من السفر إلى إيطاليا فيما بعد

, ولكن ليس

الآن روبرتو .

سحبت يدها من يده وتابعت :

. يجب أن اذهب الآن .

وسارعت إلى الباب وعيناه الغاضبتان

تلاحقناها . وصاح

بحدة :

. عودي إلى هنا جيني !

ولكنها تابعت جريها إلى الخارج , متظاهرة

بعدم سماعه , وكل

جسدها ينتفض .

اتجهت من المستشفى إلى منزل باستينو

مباشرة لمقابلة إيفا .

فاستقبلها الخادم القديم الذي تعرفه جيداً . .

ولم يكن في وجهه ما

يدل على أنه من البشر . سمعته يقول بعد أن

أدخلها إلى غرفة

الجلوس بصوت خال من أي تعبير :

. سيدتي . . الآنسة نيوهام هنا !

وتقدمت إيفا لتقبلها .

. حبيتي . . كم رائع أن أراك في هذا المنزل

ثانية !

ولامست خدها بخد جيني التي سارعت
للتأوه .

. إيفا . . أتعلمين أن الطبيب سيسمح له

بمغادرة المستشفى

قريباً ؟

. أجل . . . ما رأيك لو تتناولين القهوة

معي ؟ اجلسي يا

حبيتي .

ونظرت إليها جيني يائسة :

. أصغي إلي إيفا . . روبرتو يريد السفر إلى

إيطاليا !

. فكرة رائعة ! أنا واثقة أنه سيتعافى بسرعة

أكبر هناك .

وبدا واضحاً أن إيفا لم تفهم معنى قولها .

. عندما يصل إلى المنزل , يجب أن تخبروه يا

إيفا .

. نخبره ماذا ؟

وجلست إيفا على الكرسي بقربها ونظرت

إليها ببراءة .

. أنت تعرفين ما أعني . . ! يجب إخباره

بأمر طلاقنا !

حينها أمسكت إيفا بيدها , ولامست خاتم

الزواج الذي نسيت

أن تخلعه عندما غادرت المستشفى :

. ولماذا ؟

فأجفت جيني :

. أنت تعرفين جيداً لماذا لا أستطيع الذهاب

معه ! لأنني لست

زوجته وعاجلاً أم آجلاً سيعي ذلك .

فقلت إيفا بنعومة :

. طبعاً عاجلاً أم آجلاً . . . ولكن ليس

الآن يا جيني . . . ليس

بعد .

شهقت جيني . . . وحدثت بإيفا .

. ألا ترين أن هذا الوضع مستحيل بالنسبة

لي ؟ لم أعد قادرة

على الاحتمال . . وأنا أدعي كل يوم

وأذهب إليه . . وأراه . .

وأكذب عليه !

فردت إيفا بهدوء :

. ولكنك بذلك تجعلينه سعيداً , يا عزيزتي

سيكون الأمر أفضل

بكثير لو تركناه يستعيد ذاكرته بنفسه . . ألا

تعتقدين هذا ؟ وبما أنه

بدأ يستعيد عافيته تدريجياً فلن يطول الأمر

حتى يستعيد ذاكرته .

. ولكنني لا أستطيع السفر معه إلى إيطاليا !

لا أستطيع , إيفا !

أنا لست زوجته . . نحن لسنا متزوجين !

كيف يمكنني السفر إلى

إيطاليا والعيش معه تحت سقف واحد ؟

فابتسمت بخبت :

. لا بأس يا عزيزتي . . وأي ضرر في هذا ؟

أتظنين أنه بكامل

عافيته ليطالبك بحقه الزوجي ؟

فاحمر وجه جيني وهمست :

. ولو فعل ؟

ضحكت إيفا :

. لا أظن . . أنسيت كم هو مريض ؟ مثل

هذه الأفكار لن تخطر

بباله يا عزيزتي قبل أسابيع طويلة , وحتى ذلك

الوقت لا بد أن

يكون قد استعاد ذاكرته , كما إنك بحاجة

لإجازة . . لقد مررت

بفترة عصبية . . وتبدلين متعبة يا عزيزتي !

. لا أقدر .

. وهل سيعترض خطيبك ؟

فوقفت غاضبة , في نفس اللحظة التي

دخل فيها الخادم . . .

فقلت :

القهوة . . عودي للجلوس يا عزيزتي .

وبينما هما ترتشفان القهوة , قالت جيني

لإيفا :

. يبدو أنك نسيت كم كان لدي من الأسباب

لأكرهه ! فزواجنا

كان محكوم عليه بالفشل . . وكان فراقنا

محتماً .

فتغير وجه إيفا :

. لا أريد مناقشة ما حدث . فالزواج علاقة

شخصية بحتة !

فضحكت جيني بسخرية , ونظرت إليها

واضعة يديها على

خصرها ووقفت قائلة :

. ولكن الطلاق ليس أمراً شخصياً إطلاقاً .

. أليس كذلك ؟

. وأنت تعرفين تماماً لماذا تطلقنا .

. جيني أرجوك !

كانت جيني غاضبة بشدة أحست معها

بعدم قدرتها على

التراجع . . . وأصبح وجهها شاحباً مائلاً

للبياض وقالت بمرارة :

. لقد حدث ذلك في هذا المنزل . .

أتذكرين ؟ لقد دخلت

غرفتي ووجدته على فراشي مع عشيقته .

وبدت الصدمة على إيفا . . وشحب وجهها

. .

. أنا . أنا آسفة . .

. آسفة ؟

قالتها بسخرية وكأنها تقصد الإهانة

وأكملت :

. أيمكن أن تتصوري كيف كان الأمر بالنسبة

لي ؟

في نبرة صوتها , ألم غاضب , وجهها مشدود

متشنج , مع

محاولاتها الجاهدة للسيطرة على البؤس الذي

يشتعل في داخلها .

وتمتت إيفا :

. أوه . . يا عزيزتي .

. أيمكنك أن تنسي ما حدث لو كنت أنتِ

مكانني ؟

أحست إيفا أن السؤال كالخنجر المصوب

إليها , فأجابت

بصوت أجش :

. أنت لم تسمحي لـ روبرتو أن يشرح لك

حقيقة الوضع .

. يشرح لي ؟ يشرح ماذا بحق الله ؟ ماذا

يمكنه أن يشرح إيفا ؟

أشرح لي لماذا أخذ جيسكا إلى فراشي ؟
لقد رأيتهما معاً . .

أتذكرين ؟ تلك الصورة لم تفارق مخيلتي قط
منذ ذلك الوقت ,

عشت بعدها في جحيم . صدقيني . ليس
هناك عذر يبرر ما
فعله .

وردت إيفا بصوت مرتجف بائس وهي تنظر
إليها بحزن :

. الأمور ليست دائماً كما تبدو .

فضحكت جيني بمرارة :

. ما حصل كان بسيطاً إيفا . . واضح

كوضوح الشمس .

فبدا الألم في عيني إيفا :

. لا تتحدثي هكذا ! أكره سماع ما تقولين .

. ولست أحب أن أقوله . ولكنني لن

أصغي إليك وأنت

تدافعين عن الشيطان . . عن روبرتو . . . لا

شيء تفعلينه يمكن أن

يزيل أندرو من الصورة , ولا أنت تريدين

هذا . . أعرف أنك تحبين

الصبي . . إذ إنه ولد صغير طيب , ولكن

كل مرة أسمع اسمه فيها ,

أتذكر واقع أن روبرتو أصبح أباه وهو في

فراشي أنا مع أمه تلك

الليلة .

وسارت بخطى ثابتة نحو الباب وخرجت . .

. تاركة إيفا

العجوز تحقق بها بعينين دامعتين

نهاية الفصل ((الثالث)) . . .

4 . تتبع قلبها

نظر دانيال نيوهام نحو ابنته بذهول وقال
صراحة :

. إنه وقح . . وهذا أكيد . . جيني . . لا
يمكن أن تفكري بالسفر

معه إلى إيطاليا . . مرت سنوات لتخلصي

من آثار الكارثة الأخيرة

التي سببها لك , والأبله وحده يذهب بقدميه

ليتلقي المزيد من

العقاب .

والتوى فمه وأكمل بسخرية :

. أو يكون معقداً منحرفاً . . أهذا ما أنت

عليه جيني ؟ وهل

تتمتعين بالمعاملة التي كنت تتلقينها منه ؟

وشحب وجهها . . واتسعت عيناها ثم هزت

رأسها :

. بالطبع لا !

. لماذا إذن ؟ لماذا تتركين هذا يحدث لك

ثانية ؟

وضمت يديها إشارة عجز :

. لم أكن أنوي ترك الأمور تصل إلى هذا

الحد . أول مرة

جرتني إيفا للذهاب . ثم اعتقدت أنه

سيموت . . فكيف يمكن أن

أرفض يا داني , وهو على وشك الموت ؟
فرقع والدها بلسانه , ودفع يده في شعره
الخفيف المشعث .

. حسناً إنه لن يموت الآن . وإذا كان قوياً

كفاية للسفر إلى

إيطاليا فهو قوي بما يكفي ليعرف الحقيقة

.

ولم تستطع إنكار هذا , فأحنت رأسها

وتنهدت :

. إيفا تريد أن يسترجع ذاكرته بشكل طبيعي

.

فبدت السخرية على وجهه :

. ولا يهم كم يطول الأمور ؟ هل ينوون إبعاد

كل الصحف عنه ؟

والأمور العملية ؟ لأجل الله جيني , ألا يمكن

أن تفهمي ما أقصد ؟

يجب أن يعرف . . يجب أن يخجل من نفسه

. . . ألن يطرح

الأسئلة ؟

فاتسعت عيناها :

. الصحف ؟ أنا أقرأها له عندما أزوره .

فابتسم ساخراً :

. صحيح ؟ ألم يعلق أبداً على ما تقرأينه له ؟

ألم تظهر عليه

الدهشة ؟ لقد تغير الكثير منذ خمس سنوات

في العالم !

وجلست على مقعد وراءها وكأن ساقها لم

تعوداً تحملانها :

. فهمت ما تعني . . . وهذا لم يخطر ببالي

.

. نظرة واحدة لتاريخ صحيفة تجعله يتذكر .

ألا تظنين أنه

سيسأل عن هوة خمس سنوات في ذاكرته ؟

نظر إليها لحظات بلطف وأكمل :

. حبيبي . . ألم تلاحظي كم تغيرت أنت

خلال الخمس

سنوات . آخر مرة شاهدك فيها كنت صغيرة

. . . وأنت الآن امرأة . .

تسريحة شعرك , زينتك , ثيابك . لا بد أن
يكون كل هذا غريب
عليه . . . ومع ذلك لم يعلق مطلقاً ؟
أتصدقين هذا ؟

ذكاء داني الحاد الدقيق كان دائماً يتفوق
على ذكائها . إنه دائماً
يضع إصبعه على قلب المشكلة , لا تمنعه
قلة تعقلها التي تحد من

تفكيرها . وبتركيز دقيق فعل هذا الآن ,
وأحس على الفور بالتناقض
الذي كان يجب عليها هي أن تراه , ولكن
تورطها العاطفي مع
روبرتو منعها من ذلك . بالطبع والدها على
حق , من المستحيل أن
يكون روبرتو قد أمضى الستة أسابيع الماضية
دون أن يتساءل , ولو
لمرة , عن هذه الهوة في ذاكرته .

واتسعت عيناها الخضراوان , وسألت

بصوت خفيف :

. ولم يفعل هذا ؟

. لماذا ؟ أنت لست عمياء لهذه الدرجة جيني

. أنت تعرفين

لماذا تماماً . . . إنه يريد استرجاعك .

فاحمر وجهها , وأحست بأن قلبها نسي أن

يدق عدة دقائق :

. هل لا يزال يحبني ؟

وحملت بأبيها منتظرة الرد مقطوعة النفس .

. . فتجهم وجه

داني :

. حب ؟ إنها ليست الكلمة التي قد

يستخدمها . . إنه يريدك . . .

إنه رجل يحب التملك , ويدرك مدى قوته .

وأنت هربت من بين

يديه . . . ولقد أدهشني يومها لأنه تركك

بسهولة . . . يوم جاء إلى

هنا وراءك كان كالحيوآن المجنون , واستلزم

الأمر وجود غرانت

معي لإخراجه . أمر واحد علق في ذهني

حتى اليوم , وهو قوله

((إنها لي !)) ولطالما ارتعشت كلما تذكرت

كيف قالها . إنني لا أطيق

الرجال أمثاله , رجال ينظرون إلى المرأة كنوع

من الممتلكات .

كلماته أعادت تدفق الذكريات المؤلمة المريرة

التي مرت بها .

وتركها هذا غير قادرة على الكلام للحظات

طويلة , تحقق في

الأرض . وعندما استعادت القدرة على

النطق , قالت :

. ماذا سأفعل ؟

والدها رباها بعد موت أمها . . . وكان

مقربان من بعضهما

جداً . ورثت عنه موهبته , ذكائه , حبه

للجمال . علمها كيف ترى

الجمال في أشياء لا علاقة لها بالجمال . فتح
عينها على الحياة
بكل ما فيها من تسامح . علمها أسس
فلسفة هادئة لتبني عليها
نظرتها إلى الحياة . لم تشك لفترة طويلة , أن
علاقته بالحميلات
من العارضات اللواتي مررن في حياته , لها
أكثر من الطابع
العملي . . وعندما كبرت لتفهم أنه يجب
النساء , كانت قد توصلت

إلى مرحلة تقبلت فيها هذا الواقع دون أن

تنزعج . . كما تقبلت

تماماً لورين التي عاد بها معه من باريس ,

الصغيرة الحجم ,

الصريحة , الأمريكية الأصل , ذات الشعر

الأحمر البني , والابتسامة

الواسعة . على الأقل تجيد الطبخ . . . ومع

أنها على الأقل تبلغ

نصف عمره , فلديها إخلاص وصدق جعلها

محبوبة . . . وأجابها

داني بقطع حبل أفكارها :

. ماذا تفعلين ؟ افعلي ما يحلو لك . . ولكني

أحذرك . . . إنه

يخدعك . وأنت تعرفين هذا . . . وإذا

استمررت في مقابله

فستعرضين للألم مرة أخرى .

هذا أمر ممكن . . . إنه يأمل بأن يتمكن من

محو الماضي . .

ومن الممكن أيضاً أنه يعتقد بقدرته على

جعلها تقابله حتى يتسنى

لها نسيان ما حصل . . . وبألم , أحست أن
الأمر حقيقي . . .

وشعرت بغضب يقطع أنفاسها . إذا كان كل
هذا ادعاء منه , فهو

شرير خبيث , كذاب قدر .

أقنعت نفسها مئات المرات بأنها لن تذهب
لزيارته ذلك

اليوم . . . ولكنها في النهاية ذهبت , توبخ
نفسها على ضعفها ,

وتتجادل مع نفسها في كل خطوة من الطريق
حتى وهي واقفة .

خارج غرفته , ترددت . . . لقد تجاوزت

ساعات زيارته المعتادة

بكثير , ولا تزال أمامها فرصة للرجوع , وهي

تقف هناك . . سمعت

صوتاً غريباً في الداخل . . . آهة مخنوقة . إنه

يتألم . . وفتحت

الباب على الفور , وعيناها تطيران إليه

وشاهدت رأسه مدفوناً في

الوسادة . ولم يتحرك , تاركاً وجهه مختبئاً

عنها . فركضت نحوه ,

ولامست كتفه , وهمست :

. روبرتو . . . ما بك ؟

بقي جامداً للحظات . ثم , ودون أن يرفع

رأسه تتمم :

. لا شيء . . . رأسي . . .

فجلست قربه , تداعب خصلات شعره

البادية من تحت

الرباط , وتذلك له مؤخرة عنقه :

. هل يؤملك ؟ أستدعي لك الممرضة ؟

فتنهد :

. إنه أفضل الآن . . . استمري في التدليك

.

وأحست بعضلات عنقه تسترخي . وتنفس

بعمق :

. آه . . . هذا رائع . . . لك يدان شافيتان

يا جيني !

ارتفع الدم إلى وجهها وقد أدركت ما تفعل ,

وما تشعر . . . كل

نواياها السابقة تلاشت . . كيف يمكن أن

تواجهه بعد هذا ؟

استدار ليتمدّد على ظهره , ورفع عيناه إلى

وجهها .

. لقد تأخرت . . . ظننتك لن تأتي .

. كنت أعمل .

. ترسمين ؟

كان وجهه هادئاً , لا قلق فيه , ولو أنه يمثل

فهو ممثل

ممتاز . . ماذا لو كان داني و غرانت مخطئان

؟ ماذا لو أنه لا

يخدعها ؟ وهل تستطيع ، أو هل تجرؤ ، على

إجباره ذاكرته على

العودة ، لتصدمه وتسبب له نوعاً من الانهيار

؟ أتستطيع أن تعيش مع

ضميرها المعذب لو أضرت به ؟

ونظر إلى أصابعه التي تمسك بالملاءة البيضاء

، والهدوء بادٍ

على وجهه :

. هل ترین کراولي کثیراً ؟

فتنفت بحدۃ , ونظر إليها متسائلاً ,

فأجابته :

. أراه بين حين وآخر .

أدار وجهه عنها دون أن يرد . وجهه تعب ,

شاحب أشفق

قلبها عليه . . . وقالت :

. أنت تعب . . الأفضل أن أذهب لا تركك

تستريح .

مد يده ليمسك بيدها وقال بلهجة لم يكن

فيها رجاء , بل أمر :

. ابقني . . . لقد قامت أمي بكل الترتيبات

لسفرنا إلى ايطاليا .

فأجفلت وشعر بها , وشد بأصابعه على

يدها . . فقالت :

. روبرتو . . .

فتحت فمها لتقول إنها لن تذهب معه , لن

تستطيع , لن

تستطيع الاستمرار بكل هذا الإِداء . . .

ولكنه قاطعها :

. ستكون الممرضة معنا , ولا حاجة لك

للقلق علي . أظنهم

سيخدروني . . ولا يبدو أنهم مقتنعون

بسفري . . ولكنني سئمت من

البقاء في هذه الغرفة , و أريد الإبتعاد عن

جو المستشفى , أن أرتاح

في محيط أحبه , لقد سئمت من حياة

المستشفى جيني . ستة أسابيع

وقت طويل ويكفي . وأنا واثق من شفائي
بسرعة أكبر في إيطاليا .

. هل هي ممرضة ممن كن يعتين بك هنا ؟
فضحك وأكمل كلامه والابتسامة على
شفتيه :

. لا . . لقد حصلوا عليها من وكالة خارجية
للمريض ,

وجاءت هذا الصباح لتباحث مع الأطباء .
. . انتظري حتى

تشاهديها . لم أكن أدري أن هناك ممرضات
جماليات هكذا .

. وكيف تبدو ؟

لا فائدة من كتمان الأمر . . . إنها تغار ,

لقد أحست بالعوارض

المألوفة للغيرة في معدتها . فقال ضاحكاً :

. إنها حمراء الشعر , ولها جسد كممثلات

السينما . يجب أن

انتبه إلى ضغط الدم وهي معي .

لمعت عيناها بالغضب , ونظر متسلياً إلى
وجهها الغاضب . .

ولكن ما حدث غير مزاجها . . فهو لو كان
يذكر الماضي لما

حاول المزاح وإثارة غيرتها هكذا . ولن
تصدق أنه يستطيع فعل هذا

الآن لو أنه يتذكر ما حدث , لو أنه يتذكر
جيسكا , والطلاق .

قبل أن تتركه بعشر دقائق . لم يكن قد عاد
لذكر الرحلة ,

ولكنها كانت تعرف أن إرادتها تضعف ,

وسارت لمدة ساعة في

الجو البارد المثلج . أفكارها المشوشة منعتها

من التفكير بتعقل .

يوم فاجأته في الفراش مع جيسكا . . فكرت

بالانتقام , على نفس

طريقة خيانتة . فكانت تستطيع أن تستسلم

ل غرانت لولا أن والدها

أسرع بإرسالها إلى لندن .

ليلة سماعها بزواج روبرتو من جيسكا ,

ذهبت إلى حفلة

راقصة , وعادت إلى شقتها مع شاب ,

كادت تستسلم له لولا أنها

في اللحظة الأخيرة لم تستطع .

عندما التجأت أخيراً إلى غرانت , لم تكن

تتوقع أن يكون لها

معه ذلك الشغف الذي عرفته من قبل . لم

تكن قادرة في الواقع أن

تقدم له الكثير حتى ولو حاولت . صحبتها

له عميقة , ولكنها فاترة

فيما لو قورنت بمشاعرها العنيفة تجاه روبرتو

.

أخيراً , توصلت إلى قرار قاطع حول ذهابها

معه وقدرتها على

تحمل بضعة أسابيع معه في ايطاليا لوحدهما

.

ذهبت إلى منزل والدته , وجلست إيفا

تمسك بيدها بحنان

تصغي بحدوء إليها وهي تحاول سرح مشاعرها
المعقدة . وقالت إيفا

بحدوء :

. تجعلين الأمر يبدو معقداً جداً يا عزيزتي .

. . . هناك سؤال

واحد عليك الإجابة عليه . . هل تريد

حقاً الذهاب معه ؟

فتأوهت جيني :

. تعلمين جيداً أنني أريد . . . إيفا . . . منذ

سنتين عندما

اتصلت بي بعد موت جيسكا . . . لترتيب

لقاء معه , هل كان يعرف

أنك تتصلين بي ؟

ترددت إيفا بشكل ظاهر , واستطاعت

جيني أن تلاحظ في

عينها رغبتها بالكذب . . . ثم تنهدت تهنز

رأسها :

. لا . . . لم يكن يعرف . كان يرغب في

رؤيتك , وعرفت

هذا . . كنت في أفكاره على الدوام , وكان
هناك مئات من الأمور
الصغيرة تدل على ذلك . ولكنه كان يخاف .
يخاف أن ترفضه
بطريقة تعمق جرحه أكثر .
جرحه ؟ أي جرح ؟ توحين لي أحياناً بأنه
كان بحاجة لمن
يشفق عليه مني . ما حدث كان فعلته
وليست فعلتي . . .

مجروح . . ؟ كنت يومها أود أن أراه يحترق

بنار جهنم . . أكرهه يا

إيفا .

نظرت إليها إيفا بهدوء تَهز رأسها وكأنها لا

تصدق كلمة مما

تسمع . . . وأحست جيني أنها سئمت من

كل شيء . . . من نفسها ,

من روبرتو , من كل شيء , وأكملت :

. لقد بدا منذ شهر أن كل شيء قد انتهى .

. . لقد كرهته ,

لدرجة أنني كنت مستعدة لأمر من فوقه وهو

جريح ينزف حتى

الموت دون أن أنظر إليه . . ولكن هذا

الأسبوع الأخير نسف كل

شيء , وأحياناً أشك في أنه يفعل هذا

متعمداً , وبدأت أشك في أنه

فقد ذاكرته . . أظنه يلعب لعبة خبيثة معي .

. إذا كان يفعل هذا , هل ستفهمين دوافعه ؟

وأجفلت جيني . . . هل تعترف إيفا بالأمر

؟

. وهل يفعل ؟

. الأطباء يقولون لا . إنهم واثقون من أنه

أغلق ذاكرته على

الماضي . . ولكن دعي هذا جانباً . . لو أنه

يتظاهر فهل ستفهمين

حاجته للتستر قبل إعادة التقرب إليك ,

لأجل كبريائه ؟ روبرتو من

آل باستينو , وكبرياؤه لا يوصف . . . كان

دوماً هكذا . وستكون

إهانة لرجولته لو اعترف بضعفه , وخاصة

أمام امرأة . ألا يمكنك

الغفران له لأجل هذا ؟

. ولكنه داس على كرامتي . . فلماذا أسامحه

لحماية كرامته ؟

. كرامة المرأة في أن تضحى . . . وكلانا

يعرف هذا . . نحن لا

نعير كرامتنا الكثير من الاهتمام . . الرجال

هم من يقدسونها ,

يحاربون لأجلها , ومستعدون للموت في

سبيلها . . . أما المرأة

فلديها التفكير العملي أكثر كي لا تضحي

بشعرة من أجل الكرامة .

. أنت تتحدثين عن الإيطاليين . . أما الرجال

في أميركا فلا

يتحدثون عن الموت لأجل الكرامة صدقيني

؟

. الأميركيون ؟ ولكن نحن نتحدث عن روبرتو

, زوجك ,

ابني . . .

. لم يعد زوجي !

. ولا حتى في قلبك ؟

ردت عليها جيني بنفس لهجتها الدرامية :

. عندما شاهدته مع جيسكا تحطم قلبي !

لفترة طويلة بقيت

أشعر بالفراغ وكأنني ميتة . وعندما شفيت

أصبحت لدي الحكمة

الكافية كي لا أفرط بقلبي ثانية . . . لا يا

إيفا . . . روبرتو لم يعد

زوجي بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .
لماذا إذن الرغبة في السفر معه ؟
بدا الانتصار على إيفا وهي تسأل ,
وأحست جيني باحمرار
وجهها من الغضب فوقفت على قدميها
وقالت بخشونة :
. لأنني حمقاء . . . وهذا ما أنا عليه . . .
وإلا لما فكرت
بالأمر .
فابتسمت إيفا :

. ولكنك ستذهبن . . . أليس كذلك جيني ؟

ولم تستطع الرد , بل وافقت وقبضتها

مطبقتان وعلى وجهها

تتصارع مختلف المشاعر . . . وبعد لحظات

طويلة أجابت :

. إذا ذهبت , فلت أريد تلك الممرضة

الحمراء الشعر يا إيفا .

فاتسعت عينا إيفا :

. ماذا ؟

. الممرضة التي استخدمتموها , يقول روبرتو

عنها إنها صاعقة

الجمال .

كانت وبكل طفولية قد أعمت الغيرة

أبصارها . . . ونظرت إلى

إيفا وشفقتها السفلى بارزة إلى الأمام

كالأطفال :

. استبدليها . . استخدمني ممرضة مسنة . لن

أتحمل أن يزعجني

بمزاحاة عنها ونحن هناك !

فضحكت إيفا مسرورة :

. وهل فعل هذا ؟

. أوه . . ومتعمداً , مع أنه أظهر الأمر وكأنه

مزاح , ولكنني لن

أتحمله .

فلمعت عينا إيفا :

. سأستخدم ممرضة تشبه التين . . . أعدك .

. قبيحة مثل الخطيئة . هكذا أفضل , ولأرى

حينها كيف

سيتغزل بها !

. سأختار أكبر وأقبح ممرضة لديهم .

وضحكت عالياً , ثم رافقت جيني إلى الباب

, وقالت :

. وتدعين أنك لا تهتمين به ؟

. أتمنى هذا . ولكن هذا لا يعني أنني سأمحوه .

. . لن أسامحه

أبداً .

بعد مرور أربعة أيام على هذا اللقاء , كانت

جيني في طائرة

خاصة تملكها إمبراطورية باستينو , مع روبرتو
وامرأة في الخمسين
تعنى بالمريض .
ونظر روبرتو إلى جيني :
. أعتقد أنه علي أن أشكرك على هذا الغول
. . . أم إن هذا
عمل أُمي ؟
رفعت جيني ذقنها متحدية :
. لست أدري عما تتكلم .
فابتسم لها ساخراً :

. صحيح ؟

واضطربت الطائرة بحدة , فشهقت وسارع

إلى تغطية يدها

بيده .

. لا تقلقي . . . الطائرة تستدير لتدخل في

المسار العالمي

للطيران .

بعد لحظات , انخفض جفناه , فقد بدأت

الحبوب المنومة التي

أعطيت له قبل الإقلاع تعطي مفعولها وببطء
استغرق في النوم .

حطت بهم الطائرة في مطار لشبونة للترود
بالوقود قبل متابعة

الطريق رأساً إلى نابولي . . . ومن ثم أقلعت
إلى جزيرة صغيرة

مقابل خليج نابولي يملكها كبار الأغنياء في
إيطاليا . شواطئ

الجزيرة الصخرية بدت واضحة المعالم والطائرة
الخاصة الصغيرة

تدور حولها , ثم ظهرت أمامهم أنوار المدرج
الذي ستنزل فيه
الطائرة .

الفيلا , كانت تبعد بضعة أميال عن المطار ,
وجلس روبرتو

يحدق من النافذة متذكراً مرتع طفولته .
قاد جوزيبي السيارة بهم وهو يتحدث إلى
روبرتو عن آخر

أخبار الجزيرة وعائلاتها العريقة , ولكن جيني
أحست بالنعاس ,

ولم تستيقظ إلا بعد توقف السيارة , لتجد
نفسها ملتصقة بروبرتو ,
وذراعه على كتفها , وحرارة صدره تحت
خدها . ساعد جوزيبي
روبرتو الذي أصر على السير نحو المدخل . .
وسار ببطء , يرتاح
بعد كل خطوة , ولكنه أخيراً نجح في
الوصول , ترافقه ابتسامة
جوزيبي واستحسانه . ولاقتهما زوجته ماريا ,
تعلو وجهها ابتسامة

السعادة وهي تبكي بكلمات الفرح ,
وتحتضن روبرتو , الذي عرفاه
منذ طفولته , وأخذت تقبل وجنتيه مراراً .
ماريا كانت لا تزال ترتدي السواد حزناً على
أبنها الأكبر الذي
مات غرقاً في قارب صيده , ولا زالت حتى
الآن تشعل له الشموع
في كنيسة الجزيرة الصغيرة . ابنها الآخر ,
الاندو , لديه بستان زيتون

في الجبال الداخلية للجزيرة . ويعيش مع

زوجته وأولاده الأربعة في

منزل ابيض اللون داخل بستانه , ويزور أبويه

يوم الأحد من كل

أسبوع , وسأل روبرتو عنه وتبسم لسماعه

لهجة المرأة الفخورة

بابنها بالرغم من اختلافها الدائم معه .

وقفت جيني منتظرة أن تلاحظ ماريا وجودها

, وتتساءل عن

ردة فعل المرأة المسنة عندما تراها . وأخيراً

استدارت العينان

السوداوان إليها . . ولكن لم تظهر الدهشة

على ماريا لرؤيتها بل

مدت ذراعيها بحرارة , فاندفعت جيني إليهما

, وأخذتا تتبادلان

القبل .

بدا روبرتو شاحباً , فتدخلت الممرضة طالبة

إليه أن يتوجه إلى

سريره . . . وقادتهم ماريا إلى الطابق العلوي

. . . هذه الفيلا بناها

جد روبرتو منذ أربعين سنة , ومنذ ذلك

الحين لم تلق إلا القليل

من التجديد . . . في طرازها القديم وغرفها

الواسعة المرتفعة

السقوف , ونوافذها العالية والشرفات

الواسعة المظلة على جزء كبير

من أرض الجزيرة .

أخيراً تُرك روبرتو لرعاية ممرضته , وانسحبت
ماريا على

مضض تظهر بوضوح عدم رضاها على ترك
مريضها المحبوب بين

يدي امرأة غريبة . لم تنجُ جيني من عدائية
ماريا للغرباء بل قد

شملتها هي أيضاً فيما مضى . ولكنها كانت
قد بدأت تلين قبل

الطلاق بقليل , وهي تبدو الآن متلهفة لجعل
جيني تحس أنها في

بيتها . وأخيراً تركتها لوحدها في غرفتها ,

لتفاجأ بأن إيفا قد أعطت

تعليماتها الصارمة لجوزيبي وماريا بخصوصها .

وترحيبهما المتوقع

لوجودها أبرز ذلك بوضوح .

تعبها الشديد الليلة منعها من إعطاء هذا

الأمر أهمية كبرى .

فغطت في نوم سريع لحظة أغمضت عينيها ,

واستمرت هكذا طوال

ذلك الليل الدافئ الطويل .

عندما استيقظت , كان نور الصباح قوياً ,

واستلقت تصغي إلى

هدير أمواج البحر البعيد وهي تتكسر على

أقدام الصخور . تتأمل

شمس الشتاء وشعاعها الذي يتراقص على

جدران غرفتها . . إنها

تشعر براحة غريبة في هذا المكان المنعزل

الهادئ .

بدت لها كل الانفعالات والتوترات التي مرت

بها في الأسابيع

الماضية وكأنها ذكرى بعيدة . . . وأحست

بقلبها يخفق بوعي

مفاجئ . . إنها الآن مع روبرتو لوحدهما

تحت سقف واحد . . .

بعد خمس سنوات من الفراق .

* * *

نهاية الفصل ((الرابع)) . . .

5 . جزيرة المفاجآت

لمدة يومين بعد وصولهما , أصرت الممرضة
على ملازمة

روبرتو للفراش , فالرحلة كانت مرهقة له
أكثر مما يبدو , وبالرغم

من إقراره بتعبه , فقد أصرت بعناد , وكان
إصرارها محقاً إذ أن

جيني كلما ذهبت لزيارته تجده بين النوم
واليقظة , فينظر إليها

مترنحاً من النعاس ويقول :

. يبدو أن السفر قد أهلك قواي . . . آسف

يا جيني .

فتقف قرب سريره تمر أصابعها على وجهه :

. لا بأس روبرتو . . . سوف تستعيد قوتك

عما قريب .

بينما هو مستلق ومتعب , كانت تتجول في

حدائق الفيلا وكأنها

تستعيد ذكرى ما مضى . . . كلما أطلت

على منظر جديد كان

يذكرها بحدة بلحظات من الماضي , وكانت
تتخيل نفسها كما كانت
منذ ستة سنوات . ومن نظراتها الناضجة الآن
, استطاعت أن تدرك
كم كانت صغيرة , دون خبرة , دون أي
معرفة بأخلاق الرجل الذي
تعيش معه , غير واثقة لا منه ولا من نفسها
, شديدة الحساسية
ورقيقة . لذلك كانت هدفاً سهلاً لـ جيسكا
, ولا عجب أن تلك الفتاة

الايطالية ضحكت عليها !

صباح اليوم الثالث , أصبح روبرتو بصحة

جيدة سمحت له

بالوقوف مستنداً إلى الممرضة , وهو يصير

بأنه قادر على الوقوف .

وكم كانت تتمنى أن تبقى في فراشه لبضعة

أيام أخرى لو

استطاعت , ولكن طباعه المستبدة تغلبت

على عنادها خاصة بعد

استعادته لنشاطه . صاح بها وعيناه

السوداوان شرستان :

. سوف أقف !

كانت جيني في غرفتها عندما سمعته يصرخ ,

واستدارت

لتنصت وشبح ابتسامة يتراقص على شفيتها

. إنه روبرتو الذي

تذكره . لم تسمع هذه اللهجة في صوته منذ

الحادثة .

خرجت لتدق باب غرفته , وتقدمت الممرضة
لتفتح لها ,

والانزعاج بادٍ عليها , وهمست بغضب :
. إنه يتلاعب سيدة باستينو .

وكأنما روبرتو ولد صغير عنيد يلعب حيث لا
يسمح له باللعب

وبحاجة إلى ضرب على قفاه . . آه كم تتمنى
لو تفعل . لو أنها
تجرؤ .

وحدق روبرتو بهما وصاح :

. لِمَ كل هذا الهمس ؟ جيني تعالي إلى هنا !

لن أسمح بالتآمر

علي من خلف ظهري !

فابتسمت جيني للممرضة , وكأنها تعتذر . .

ثم تقدمت نحوه

وعيناه مثبتتان عليها . . . وأحست بالغضب

للاهتمام الذي يظهر في

نظراته . . . وأحست أكثر فأكثر برغبة في

ضربه . وتجولت عيناه في

بلوزتها وسروالها الأسود .

. لم ترتدين هذه الملابس ؟ أكره النساء

اللواتي يرتدين

السروال . . . اخلعيها .

فنظرت إليه ببرود وقد رفعت حاجباً واحداً

:

. أعصابنا متوترة هذا الصباح . . . أليس

كذلك أيتها الممرضة ؟

فردت الممرضة بارتياح :

. نحن هكذا دائماً كلما أحسنا ببعض

التحسن .

ونظر إليهما روبرتو بغضب :

. لا تتحدثا عني هكذا ! وكأني طفل . . .

لأجل الله . . . ! لن

أحتمل هذا !

فردت عليه جيني بعدوبة :

. إذن عليك الاستلقاء والراحة . أنت لا

زلت ضعيفاً على

الوقوف .

فقال من بين أسنانه :

. جيني . . . سأقف !

فهزت رأسها مبتسمة , وهي تعلم أن لا

شيء يثير جنونه أكثر

مما تفعل :

. لا يا حبيبي . . . يجب أن تفعل ما تقوله

المرضة .

وصر على أسنانه بصوت مسموع , وبرزت

عظام فكيه . . وبدا

الحبور على الممرضة التي روعها من قبل

بعصبيته , وقالت له :

. زوجتك محقة . . . سيد باستينو .

وأردفت جيني بصوت ناعم خافت :

. الممرضة تعرف ما هو أفضل لك .

وبدا عليه السكون , يدها ممدودتان إلى

جانبيه وقبضتاه

مشدودتان . ثم تمتم :

. يا إله السماوات !

واستدار ليستلقي على جانبه كي لا يراهما .
كل حركة في

جسده تم عن الغضب . فغمزت الممرضة لـ
جيني وخرجت . ووقفت

جيني تنظر إلى الرأس الأسود . تراقب التوتر
البارز على عضلات

عنقه من خلال تجاعيد شعره :
. هل ستبقى مقطباً طوال اليوم ؟

فاستدار بحدة :

. ومن المقطب ؟

فسخرت منه وعيناها تضحكان :

. أوه . . . روبرتو . . . !

. لقد سئمت البقاء مقيداً في السرير . . .

وفكرت بقضاء بضع

ساعات معاً .

شيء ما في طريقة كلامه جعلها تجفل ,

وتراجع خطوة إلى

الوراء , وتندفع نبضاتها متسارعة . وبطريقة

ما استطاعت أن تقول

ببرود :

. لا زلت مريضاً روبرتو . . . أعلم أن الأمر

صعب عليك ,

ولكن يجب أن تواجه الواقع . الرحلة كانت

مرهقة لك . فأعطِ

نفسك فرصة للراحة .

. ابقِ معي إذن .

في لهجته دعوة أكثر مما تعني الكلمات ,

فأحست بالحرارة

تشتعل داخل جسدها , فأشاحت

بنظرها عنه .

. لو بقيت معك فلن ترتاح . . ستستمر في

الكلام . . . يجب

أن تتعلم كيف ترتاح . . . يجب أن تمضي

ساعات يومياً دون أن

تفعل شيئاً على الإطلاق .

فتمتم :

. هذا يبدو مضجراً للغاية .

فاستدارت عنه متجهة إلى الباب :

. مهما يكن , هذا ما يجب أن تفعله .

جلس روبرتو فوراً في فراشه , عيناہ تلمعان ,

ورأسه مرتفع

بكبرياء :

. إلى أين أنت ذاهبة ؟

. سأتمشي قليلاً . . أراك لاحقاً .

. عودي إلى هنا !

ولكنها تجاهلته وتابعت طريقها , حيث

التقت بالمرضة التي

ابتسمت لها شاكرة فقالت لها جيني :

. راقبيه جيداً , فهو سيحاول الخلاص .

. لا تقلقي سيدة باستينو . . سأفعل .
أحست جيني بلذة الانتصار , وخرجت من
الفيلا عبر الحديقة
المتدرجة باتجاه البحر . وهبت ريح لاذعة
لعبت بشعرها , وأعادت
اللون الزهري إلى خديها . . لقد أحست
بسعادة ولذة أكبر في
إجباره على الطاعة , وأحست أنها قادرة
على التعامل معه . . . إنه

رجل اعتاد على إصدار الأوامر , أفسدته

سنوات من الثراء

والسلطة , ومع أنه دللها في أول أشهر

زواجهما , إلا أنها كانت

دائماً تشعر بأنها العبدة وهو السيد . لا

يسمح لها أبداً بأن تنسى أنه

المتفوق عليها بكل ما في الكلمة من معنى .

يعاملها بترفع حتى

وهو يحبها وكأنما هي قطعة خائفة تائهة التقطها

من الشارع وجاء بها

إلى بيته .

تعمدت جيني البقاء بعيدة عنه لما تبقى من

اليوم , مع أنه

أرسل عدة رسائل مع ماريا تفيد بأنه يرغب

في رؤيتها , إلا أنها

كانت تشكر المرأة , وتستدير مبتعدة تحت

أنظارها الفضولية المليئة

بالدهشة والاستغراب .

آوت إلى الفراش باكراً بعد تأكيد الممرضة لها

أنها أعطت

روبرتو دواءً منوماً , وأنه نام بسرعة . نزهتها

الطويلة على الشاطئ

أتعبتها وغطت في النوم على الفور تقريباً .

في الصباح التالي كان روبرتو يقرأ جريدة

إيطالية عندما وصلت

إلى غرفته . ونظر إليها ببرود كما نظرت إليه

. وعلمت على الفور

أن تصرفاته تغيرت . وقال لها بصوت مليء

بالشر :

. تعالي إلى هنا .

فردت متظاهرة بأنه لم تسمعه :

. سأتمشى قليلاً على الساحل الصخري

اليوم .

وقال لها وعيناه تضيقان بتهديد :

. تعالي إلى هنا , وإلا سأنفض لآتي بك .

فاستدارت تتظاهر بالدهشة :

. ما الأمر ؟ أتحس بالتوتر ثانية ؟ الممرضة

تقول أن هذه

علامات التعافي . . . وسرعان ما ستشعر

بالراحة .

وكشر عن أسنانه بوحشية وتمتم :

. يا إلهي ! أنت ترغبين بالمشاكل . . تعالى

إلى هنا .

وتقدمت إلى السرير تحقق به . . هل تتخيل

, أم إنها تشاهد

أمامها روبرتو القديم , تلك الشخصية

القاسية , المتسلطة , القوية ,

التي لم تظهر منذ مرضه ؟ وقالت بصوت

خافت :

. لا تكلمني هكذا روبرتو .

ومد يده ليمسك بيدها ويجرها لتجلس

على السرير , بحيث لا

يمكن لها أن تتخلص إلا إذا قاومت بعنف

وآذته . فصاحت تتلوى

لتتجنب فمه الذي اقترب منها ليمر فوق

خدها باحثاً . . .

. اتركني !

ولكنه لم يرد , وتابع محاولاته للسيطرة عليها

وأحست بغضبه

لمقاومتها , وسمعت أنفاسه المتحشجة ,
وحركات يديه عليها .

وأدارها إليه بالرغم من مقاومتها وعندما
نظرت في عينيه عرفت . .

سألته والذهول في صوتها ونظراتها :
. أنت . . . تتذكر ؟

فابتسم ابتسامة متجهمه , ولم يرد . تصاعد
غضبها ليماثل

غضبه . غضب مريـر محرق سرى في شرايينها
وكأنه النار في

المهشيم , وبرز في عينيها الخضراوين .
وأطبق فمه عليها قبل أن تستطيع
الانسحاب , دون عاطفة ,
ودن اهتمام . إنه يظهر لها غضبه ويطلب
منها الخضوع . ووضعت
يديها على صدره , محاولة صده رافضة أن
تلين أمام قوته , وأخيراً
سمح لها بأن تبتعد . . . أخذت أنفاسها
تتسارع وهي ترتجف
ونظرت إلى عينيهِ الساخرتين .

. متى استعدت ذاكرتك ؟

. بعد ثاني زيارة لك إلى المستشفى .

وجمدت , تحقق به غير مصدقة , وجهها

شديد الشحوب من

جاء الصدمة التي تلقتها ثم همست بخشونة

:

. أيها الخنزير الكاذب .

وقاومته لترك السرير :

. اتركني ! لن أبقى هنا بعد الآن . إني راحلة

.

. سباحة كما أعتقد ؟

وسخرت منها عيناه . . أوه يا إلهي . . .

بالتأكيد , كيف

سترحل ؟ وصاحت به :

. سأجد مركب صيد يوصني إلى نابولي .

فرفع حاجباً واحداً :

. أعتقدين هذا حقاً ؟

ليس هناك رجل في كل الجزيرة يجروء على

المخاطر بتلقي

غضب روبرتو باستينو . . . وكلاهما يعرف

هذا . وتصاعد غضبها

بعد أن عرفت المأزق الذي رمت نفسها فيه

. . . لقد سارت بقدميها

إلى هذا الكمين وعيناها مفتوحتان .

ونظرت إليه بمرارة .

. ولم كذبت علي طوال هذه الأسابيع ؟

. هل تعين أنه لم يخطر ببالك أنني استعدت

ذاكرتي ؟

. لقد فكرت بهذا طبعاً .

. إذن ؟

. لم أكن أعتقد أنك ستكون خنزيراً قادراً

هكذا . كان علي أن

أعرف , فهذا يتوافق مع أمثالك , ولكنني لا

زلت أبجد صعوبة في

التصديق أن هناك من بإمكانهم التصرف

هكذا دون تردد أو خجل .

وأصابت الهدف . . . ضاقت عينا روبرتو و

وأصبحنا كالبركان

الثائر , واشتد فكاه , ولكنه استمر في

الابتسام , وكأن كلامها مثل

الماء على ظهر بطة . وعندما عادت لمحاولة

الخلاص منه شدها

إليه أكثر وقال بنعومة فائقة :

. لا . . لن تفعلي .

فقلت بقسوة وهي تنظر إلى وجهه باحتقار

.

. لا أطيق أن تلمسني .

ارتجفت شفتاه , ولكنه استمر في الابتسام ,

وزاد ضغط يديه على

ظهرها , وأحست برغبة الأذية تغطيها تلك

الابتسامة , وقالت , وهي

تتمنى لو أنها تثق بما تقول :

. لن تستطيع استبقائي هنا رغماً عني .

. ألن أستطيع .

. سأجد سبيلاً للهرب من الجزيرة !

فضحك عالياً :

. كما قلت لك . . بإمكانك السباحة ,

وأرجو أن تكون

سباحتك قد تحسنت . آخر مرة رأيته في

البحر كنت تعومين

كالكلب , ولم تستطعي اجتياز مسافة

قصيرة .

وكان الغضب قد استبد بها حتى لم تستطع أن

تجيب ,

فأشاحت بوجهها عنه . وبعد لحظات قالت :

. لا بأس إذن . بإمكانك حجزني هنا . .

ولكنك لن تجبرني

على رؤيتك .

وتمتم بكلمات إيطالية ثم قال :

. لا ؟ . . . وبعد كل هذه الأسابيع من

اللفظ والمحبة ؟ لقد

تمتعت حقاً بوجودك إلى جانبي كل يوم . . .

حلوة مطيعة . بالكاد

تعرفت إليك . لقد ظننت حقاً أنك تغيرت !

. ولكنك كنت مخطئاً .

. هذا ما يبدو , للأسف . لقد أحبت تمثيلك

المحتشم . .

حقاً . . كدت تخدعيني .

. كدت أخدعك ؟ وتقولها بأعصاب باردة ؟

. كان يجب أن تكوني ممثلة .

. أنا لست من صنفك , فتمثيلك متقن , لقد

أحسست فعلاً

بالأسف عليك . لقد أقنعتني كما أقنعت

أملك بأنك ستموت .

وظهرت الحدة في عينيها :

. ولكن هل هذا ما حدث حقاً ؟ أم أن إيفا

كانت تشاركك ؟ هل

كانت تعلم بأنك تمثل ؟ أعتقد هذا !

وأحست بألم لا معنى له . . لقد كذبت عليها

إيفا . وهذا

يؤلمها والجواب ظاهر على وجهه . . .

. يا إلهي . . لم يكن بمقدوري تصديق هذا

عنها . . . كيف

يمكن لها أن تفعل هذا بي؟

وتراجعت يداها عنها , وقال ببرود :

. لقد فعلت هذا لأجلي . وإذا كنت تريدني
لوم أحد . .

فلوميني أنا . فأنا منعتها من إخبارك بأني
استعدت ذاكرتي . . لقد

كانت معي عندما عاد كل شيء إلى رأسي .
وكانت ستقول لك لولا
أنني توصلت إليها .

واستدار لينظر عبر النافذة . . فسأله ,
كارهة نفسها لهذا

السؤال :

. لماذا ؟ لماذا أردت إخفاء الأمر عني ؟ لماذا

استمررت بالتمثيل

يوماً بعد يوم ؟

فهرز كتفيه ببطء :

. كنت أتمتع بالأمور كما هي .

. لقد استغفلتني . وكذلك إيفا . لطالما

أفسدتك . . .

واحمر وجهها ذلاً . فضحك ضحكة متوترة

:

. أنا ؟ . أنت من أفسدك الدلال يا جيني

!

فحدقت به غير مصدقة ما تسمع :

. وماذا تعني بكلامك هذا ؟

. لقد ترك لك والدك حرية العيش كما يحلو

لك . كان لديك

الكثير من الحرية . . . فنشأت غير مبالية

وعنيدة , أمام حاجات

ورغبات الآخرين .

. أنت تعني حاجاتك . . ورغباتك !

. كنت زوجك !

. بل سجاني . كنت تمتلكني كما تمتلك قطعة

أعجبتك من

الشارع . . . أوه . . . لقد أعطيتني الحرير

والفرو والمساحيق التي

أرغب بها , ولكن لم يكن لي مكان حقيقي

في حياتك روبرتو .

كانت عائلتك تهتمك أكثر مني بكثير . لم

أكن سوى مجرد دمية

تمتلكها .

تحركت لتقف , ولكن يداها أمسكتا بها ,

بقوة لم تستطع

مقاومتها وجذبها هذه المرة فوقه حتى أصبح

جسدها مستلقياً فوق

جسده , وقال بخشونة .

. دمية لها مخالف . لقد تركت مخالفك آثاراً

عل جسدي

مراراً .

. فقط عندما كنت تعاملني بقسوة .

. ولكنك لم تكوني مستاءةً من قسوتي . . .

أليس كذلك ؟

فهمست بصوت كالفحيح :

. أكرهك .

فاقترب منها :

. قد يتحول هذا إلى تحدٍ . . . ألم يخطر

ببالك هذا ؟ قد أجد

حقدك ورفضك محفزاً لي أكثر من الإذعان

.

. هذا يحدث مع متوحش يتمتع بأذية النساء

.

أزعجه هذا الكلام , وسمعت صوت تنفسه

الحاد . واشتدت

قبضة يديه عليها , وحجزها بعنف :

. لا تجعليني أغضب , وإلا ستكتشفين كم

أستطيع أن أكون

متوحشاً .

. لست بحاجة إلى درس آخر . . فأنا أعرف

.

صمت للحظات . . ثم تمتم :

. وهل كراولي متوحش يا جيني ؟

وأحست بخديها يحترقان :

. غرانت ؟

. هل هو متوحش ؟ لطالما اعتبرته كلباً مدلاً

أكثر منه

رجلاً . . . فلا تقولي إنك وجدته العاشق

الملائم يا حلوتي ؟

فردت بصوت متوتر :

. أنا أحب غرانت . . ولن أتحدث عنه معك

.

. وهل تستخدمين مخالبك عليه ؟ أم إن

الأمور تجري بلطف

بينكما ؟

. أوه . . أخرس ! غرانت رجل صبور وكريم

. . . و

وقاطعها بلهجة فيها غضب غريب محرق :

. صبور ؟ أوه . . أجل . . . إنه هكذا .

وسيبقى دائماً

موجوداً . . . ينتظرك أليس كذلك ! حتى
خلال زواجنا . . كنت
تسللين سراً إليه .
. كنت أذهب لأساعد أبي في تصاميمه ,
وكان غرانت يزوره
من وقت لآخر .
فضحك بخشونة :
. تساعدين أباك . . كم أنت مقنعة بهذا
العذر !

وصدمها هذا الكلام بقسوة , وارتفع

غضبها , فنظرت إليه :

. صدق أو لا تصدق . . . فأنا رسامة أزياء

ممتازة . . . فاستبقِ

سخريتك لنفسك . . . فلقد بدأ اسمي يظهر

في عالم الأزياء , واللعنة

عليك !

. أنت تعين أن كراولي يصنع لك ذلك الاسم

. . لقد قلت لي

مرة أن صاحب دار الأزياء هو من يصنع أو
يحطم المصمم الفنان .

وهو يتأكد من فع تصاميمك للتنفيذ كلما
سنحت له الفرصة . .

فأنت من صنعه في عالم الأزياء .
فردت صارخة :

. هذا كذب ! أنت تكره الإقرار بأن المرأة
يمكن أن تكون

ناجحة في أي شيء .

. بالعكس . . . فالمرأة ممتازة . . . لشيء
وحد .

. أنت الخبير . . . فلديك ما يكفي منهن !
فرفع رأسها إليه قبل أن تستطيع منعه :
. ليس ما يكفي . . . لا يا جيني .

وحدقا ببعضهما , ثم حاولت إرجاع رأسها
إلى الورااء ولكن

يده خلف عنقها منعتها , وعندما لامس فمه
وجهها كان في عناقه

نوايا عديدة . فقد جعلها عن قصد تشعر
بما يشعر به .

ولكنها لم تستجب , بل تماسكت متصلبة
رغم أن أحاسيسها

كانت تشتعل بحركاته المغرية . ورفع رأسه
ليقول بلؤم :

. كراولي لم يعلمك الكثير .

. لقد علمني أن العلاقات العابرة تثير
الاشمئزاز .

فأجفل لكلامها الجارح , فاغتنت الفرصة
لتخلص منه
وتهرب خارج الغرفة . ثم سعت إلى الحرية
عند الشاطئ
والصخور , لتجد في تغريد الطيور , وهدير
الأمواج , راحة النفس
التي تحتاجها .
إنها غلطتها . . لقد حذرها داني و غرانت .
. . وكذلك حذرها

تفكيرها السليم . . . ولكنها وقعت في
حبائل خداعه كالغبية , أطبق
عليها فخ ضعفها أمام الرجل الذي يجب
أن تكره .

وغطت وجهها بيديها . . أوه . . يا إله
السموات , كم دخلت
الفخ بكل إرادتها , وكأنها نعجة تساق
للذبح . ليس هو من جعلها
تعمى عن الحقيقة , بل هي أرادت لنفسها
هذا , وتعاونت معه

بصمت . . . وإيفا كذلك . . . ولكن لا

عجب في هذا بعد وضوح

رغبتها هي في ذلك .

مشت فوق الصخور تلوم نفسها . . ماذا

ستفعل ؟ الطريقة

الوحيدة هي على متن قارب وما من أحد من

الصيادين سيأخذها

مهما عرضت عليه من ثمن . فروبرتو رجل له

نفوذ , ومصالح كبيرة

في إيطاليا . . . وستكون عاجزة عن القيام

بأي عمل إذا ما استخدم

هذا النفوذ .

وتذكرت أن هناك ممراً بين الصخور يفضي إلى

الطريق العام

ثم إلى الفيلا دون أن تضطر للعودة أدراجها

من حيث أتت . وهكذا

استدارت لتسير عبره فوق الصخور الخشنة

غير المستوية تحت

قدميها . . . هناك بضع سيارات في الجزيرة ,

ولكن أهل الجزيرة إما

يسIRON أو يستخدمون الحمير الصغيرة الحجم

التي تتسلق الوعر

وكأنها الماعز .

صوت محرك أجفلها حتى أنها للحظات

جمدت من الدهشة .

ثم ركضت عبر الدغل المنخفض , تلوح ,

وتنظر إلى الطريق لترى

غيمة كثيفة من الغبار لا بد أنه ناتج عن
مرور سيارة .

كانت السيارة مسرعة , فزادت هي من
سرعة ركضها , خائفة

ألا يراها راكب السيارة , كانت تركز انتباهها
بشدة , حتى أنها لم

تشاهد الصخور البارزة أمامها إلا بعد فوات
الأوان . واهتز جسدها

كله وهي ترتقي على معدتها فوق الصخور .
وصرخت من قوة

السقطة , ثم لا ذت بالصمت على أثر الألم
الذي صدمها واستلقت
بين الشجيرات الصغيرة الشائكة , لا تحس
بشيء سوى الألم في
عظامها .

ما هي إلا لحظات حتى شعرت بيمين ترفعانها
عن الأرض ,
وتديران وجهها إلى فوق . ومرت يدا
مرتبتان بسرعة على

جسدها , تبحثان عن إجابات محتملة .

وفتحت عينيها , تتأوه من

الألم , ليطل عليها وجه أسمر يتوج رأسه شعر

أشقر ملون

بالغبار بعينه الزرقاوين المتألفتين المليئتين

بالقلق .

. أنت بخير ؟

كان يركع إلى جانبها يسند رأسه بيده بعد أن

تفحصها باحثاً

عن إصابات . . . ويتكلم الانكليزية .

فأجابته غير واثقة :

. أجل . . . هل أنت إنكليزي ؟

فابتسم :

. بل أميركي . . . وأنت كذلك . . ما هذه

الصدفة !

. وماذا تفعل هنا ؟

. ألتقط الصور .

وأحست فجأة أن يده الأخرى ترتاح على

خصرها بطريقة

حميمة جعلت الاحمرار يعلو خديها

البيضاويين . وحاولت

الجلوس , فدارت الدنيا حولها . فقال لها

بصوت مفعم بالاهتمام .

. هاي . . لا يجب أن تتحركي . . سقطتك

كانت قوية .

فلفت جيني ذراعيها حول ركبتيها وأراحت

رأسها عليهما ,

تتنفس ببطء وعمق . وتركها هكذا لبضع

لحظات , وعندما توقف

الدوار . رفعت رأسها ببطء , فسألها مبتسماً

:

. هل أنت أفضل حالاً الآن ؟

فهزت رأسها وردت تأديباً :

. شكراً لك .

. لقد ظننت نفسي أتحيل عندما خرجت

نحوي راكضة .

. وهذا يجعل منا أثنان , فأخبر شيء كنت

أتوقع رؤية هو

سيارة .

فضحك :

. هذا يوضح ما حصل . فالسيارات نادرة هنا

. . أليس كذلك ؟

السيارة الوحيدة الأخرى هي لباستينو .

ولكن , لا بد تعرفين هذا . .

فأين يمكن أن تقيمي في هذا الجزء من الجزيرة

سوى في فيلتهم ؟

سمعت أنه هنا . . . لا بد أنك ممرضته .

فأجابت بسرعة ودون تفكير :

. ممرضة ؟ . . . لا !

. لا . . ولكنك تقيمين في الفيلا التي يملكها

أليس كذلك ؟

أوه . . أنا آسف لم أقصد أن أطرح أسئلة

ذات مغزى .

وفهمت جيني ما يجول في ذهنه . نظرت

السريعة إلى يدها

اليسرى أوضحت أنه يفكر بوضعها , وأنه

قرر أن روبرتو قد جاء

بإحدى عشيقاته معه . وبدأ عليها الغضب .

. . فتراجع الرجل إلى

الوراء لرؤيته بريق اخضرار عينيها . ووقفت .
.. فتحرك لمساعدتها

بعد أن رآها تترنح . . وقال :
. سأوصلك إلى الفيلا . . . أهذا ما كنت
ستطلبينه ؟

. أجل . . . شكراً لك .
وسار إلى جانبها نحو السيارة وعيناه تحديقان
بها باهتمام . .
وقال لها بعد قليل :

. يجب أن نعرف عن أنفسنا . . أنا توماس

مارشال .

. وأنا جيني نيوهام .

. جيني . . . اسم غير مألوف . . ولكنه

يناسبك .

فتح لها باب الروفر . . فصعدت إليه , ثم

انضم إليها . أدار

المحرك فانطلقت السيارة , وسألته :

. ماذا تفعل على الجزيرة ؟

. أنا عالم اجتماعات .

. يا إلهي !

. ولماذا يجب الناس هكذا على نوع عملي ,

ما الخطأ في

دراسة الجنس البشري ؟

. أهذا ما تفعله هنا . . . تدرس أهل الجزيرة

؟

. أجدول في الجزر أدرس حياة الناس

الاجتماعية , فأنا اخضر

لأطروحة التخرج , التي تتناول مجتمعات

الجزر .

. يبدو الأمر مذهلاً .

. هذا صحيح .

. وأين تقيم ؟

. في الفيلا .

. ماذا ؟ ولكنني لم أشاهدك هناك .

. آه . . هذا لأنني لم أكن موجوداً . لقد

ذهبت إلى الجبال

لأزور ابن جوزيبي , الانرو . وبقيت هناك

لبضع أيام للتعرف على

نمط حياته إنه شاب طيب , وقد اتفقت معه
بشكل جيد .

. وهل يعلم روبرتو أنك تقيم في الفيلا ؟
. لقد اتفقت معه منذ أشهر . في الواقع هذه
السيارة له . وهل

ظننت أنني سأستخدم بيته كفندق دون إذنه

.

. آسفة . . . بالطبع لا . كل ما في الأمر أن
أحداً لم يذكرك

لي . ولم يكن لدي فكرة عن وجود غريب .
وكم ستبقى هنا ؟
ليومين آخرين .
عندها فقط خطرت فكرة لها , فتنفست
بحدة , فالتفت توماس
مارشال متسائلاً , فبادرته بالسؤال :
. وكيف ستغادر ؟
فضحك :
. بالمركب طبعاً . وسأذهب إلى محطتي التالية
. . لقد رسمت

خط رحلتي منذ سنة . ولا يزال أمامي رحلة
طويلة .

. وهل سيأخذك أحد الصيادين ؟

. بل صديق في الواقع . إنه يعمل في ((

سودينية)) ويملك مركباً .

وهو يحب الإبحار إلى حد الجنون . . .

سيأخذني من هنا ويوصني

إلى محطتي التالية , ثم يغيب بضعة أيام قبل

أن يعود ويلتقطني

ثانية .

. وهل هو أميركي ؟

. تقريباً .

. وماذا يعني هذا ؟

. لديه جواز سفر أميركي , ولكنه لم يذهب

إلى هناك منذ

سنوات طويلة . التقية في اليونان منذ خمس

سنوات ومنذ ذلك

الوقت سكن في إفريقيا , ثم الخليج العربي ,

وأخيراً في تركيا ,

قبل أن يستقر مؤخراً في سردينيا .

وتنفست جيني ببطء :

. وهل يمكن أن يأخذ معه راكباً ؟

فاستدار توماس إليها وحاجباه يرتفعان :

. أنتِ ؟

. أنا . . . أريد الهرب من الجزيرة .

. وهل يعرف باستينو ؟

. لا تقل له أرجوك . لا يجب أن يعرف . .

ولكن يجب أن

أهرب من هنا .

يأسها كان واضحاً في صوتها , مما أوضح له

الأمر . فصفر :

. أوه . . فهمت . . لقد سمعت عنه أنه ذئب

كاسر . . . لماذا

جئت معه وأنت تعرفين هذا عنه ؟

. لا بد أنني فقدت عقلي . أتساعدني ؟

كانت لهجتها شديدة الإقناع ولم يتردد :

. بالطبع , ويجب أن تسافري خفيفة , دون

حقائب , فالمركب

ليس كبيراً . كل ما يمكنك أخذه حقيقة

صغيرة . وتعلمين أنك

يجب أن عملي للمساعدة . . أتجيد الطبخ

؟ فهذه مساعدة جيدة .

وأجابت بارتياح وحبور :

. أجيد الطبخ . . . شكراً لك . لن تستطيع

تصور كم أنا شاكرة

لك .

فضحك لها :

. هذا سيعلمك أن لا تسيري في أماكن خطيرة

. . . لا بد أن

أملك علمتك أن لا تتعامل مع رجال من

أمثال روبرتو باستينو ؟

. لم يكن لي أم .

فلانت عيناه , ونظر إليها بلطف :

. آسف . . . انسي ما قلته .

وصلا الفيلا , أوقف السيارة خارج الباب

الرئيسي . . فنزلت

متصلبة تنفض الغبار عن ثيابها . وانفتح

الباب , وحدثت ماريا

بهما , فابتسم لها توماس وقال :

. لقد عدت ثانية . الاندرو يرسل لكما حبه

. . . ولدي أربع

قبلات لك من أحفادك .

فابتسمت ماريا ابتسامة خفيفة . . . ثم

تحولت عيناها السوداوان

إلى جيني .

. أين كنت ؟ لقد قلقنا عليك , قد غبت
ساعات .

وتحركت جيني داخل الباب وتوماس إلى
جانبها :

. لقد سرت طويلاً على الشاطئ .

. من الخطر الابتعاد عن الفيلا سيده باستينو

.

كانت تستخدم الاسم متعمدة , وأحست
جيني أن توماس

أجفل . وسمعت صوت تنفسه العميق .

وأعماها الغضب , فقالت

ببرود لاذع محدقة إلى ماريا بتحدٍ .

. أنا لست السيدة باستينو .

وسمعت صوتاً بارداً من خلف ماريا يقول :

. ستعطين السيد مارشال فكرة خاطئة عنك

جيني .

وخفق قلبها لرؤية روبرتو يقف هناك . . .

وتابع بسخرية :

. أحببت هذا أم كرهته , فلدي صورة زفافنا

تثبته . أما الباقي

فأعطني قليلاً من الوقت بعد .

احمر وجه توماس مارشال , وبدأ عليه

الغضب . ونظرت إليه

جيني يائسة وهي تعرف تماماً ما يفكر به .

قال وهو يفرك مؤخرة

عنقه :

. عذراً . . فأنا بحاجة لحمام وحلاقة ذقن .

صعد السلم , واختفت ماريا , فنظرت جيني

إلى روبرتو

بمرارة :

. يا إلهي كم أكرهك !

وبدت القسوة على وجهه :

. حقاً ؟ حسناً . . لدي أخبار سارة لك يا

حبيبتى . . . ما

تشعرين به لي هو بسيط جداً بالنسبة لما

أشعر به نحوك .

* * *

نهاية الفصل ((الخامس)) . . .

6 . لم يكن لها

فاجأها التصريح وحملت به وفمها مفتوح ,

فابتسم لها ابتسامة

باردة قاسية :

. لقد فاجأك هذا . . . أليس كذلك ؟

أحست بردات فعل متضاربة من جراء ما

سمعته , ألم , غضب

وحقد متأجج .

. أنت تكرهني ؟ ولكنني لست أنا من . . .

فقاطعها رافعاً حاجبيه السوداوين بتحدٍ

ساخر :

. ألم تكوني أنت . . . وهل مر وقت طويل ,

قبل أن تعطي

كراولي ما كان يرغب به منك ؟

اقترب منها , وفقدت الإحساس بمكان

وجودهما . . . وقال لها

بهمس كالفحيح :

. متى كان ذلك جيني ؟ تلك الليلة ؟ هل

هربت من منزلي

لترقي بين أحضانه ؟

العجرفة في عينيه الباردتين اخترقت تظاهرها

بعدم الاكتراث .

فابتعدت عنه كطفل خائف مرتعب .

. ليس لك الحق لتسأل , و أنا لن أجيب عن

أي سؤال . لماذا

كذبت على السيد مارشال ؟ أنا لست

زوجتك , وسأخبره بأمر

الطلاق .

. أعرف أنك ستفعلين .

. بكل تأكيد سأفعل .

وحاولت جذب ذراعيها من قبضته , إلا أن

أصابعه اشتدت أكثر

على لحمها .

. ولكنك لن تفعلي . . . لأنك لن ترينه ثانية

. سأطرده من

الجزيرة الليلة !

. لن تستطيع هذا !

ولكنها تعرف أنه قادر . . سيأمر أي صياد

بأخذه إلى أي مكان

وسيفعل دون تردد . ولن يستطيع توماس أن

يعترض على أوامره .

. ألن أستطيع ؟ بل أستطيع فعل أكثر من

هذا . . كلمة واحدة

مني في المكان المناسب وسيطير من إيطاليا

كلها , وستذهب

دراسته إلى الجحيم . وسيجد نفسه غير

مرغوب به أينما ذهب في

هذه المنطقة , وسيكون على أول طائرة
عائدة إلى أميركا قبل أن
يعرف إلى أين هو ذاهب .

تمت بكراهية وصوتها يرتجف :
. أيها الخنزير القذر .

وشد يده بقسوة على ذراعها ليمنعها من
الابتعاد , محققاً
بوجهها الغاضب :

. قد أكون أكثر ميلاً للأذية . . . وتذكري

هذا عندما تفكرين مرة

أخرى باستخدام ذكاءك للهروب جيني !

فصاحت :

. لست أدري عم تتكلم .

. أوه . . . بلى . تعرفين . . أنا لست غيباً . .

. لحظة أن التقيت

بمارشال شاهدت فيه سبيلاً لخلاصك .

. لن تستطيع منعه من أخذي معه .

فضحك ضحكة قبيحة :

. حاولي . . . حاولي فقط . سأخرجك من

الموكب في

ثانيتين .

. لن تستطيع حزمي هنا رغماً عن إرادتي !

. إرادتك ؟

ابتسم بسخرية قاسية , وامتدت أصابعه إلى

حنجرتها , يضغط

عليها , وبدأت نبضاتها تتسارع تحت أصابعه

.

. سنرى كم هي قوية هذه الإرادة . . هل

نفعل هذا جيني ؟

. لا !

وشدها إليه , وغرز أصابعه في عنقها من

خلف لتجبر رأسها

على الاقتراب منه , وأطبق عليها بقسوة ,

وضغط بقسوة عليها

فأخذت تتلوى وتدفعه عنها , ولكنها كانت

عاجزة أمام قوته . . ومع

ذلك فقد فات أوان هذا . . فهناك شيء ما
في داخلها قد حدث .

كتلة جليدية عمرها خمس سنوات بدأت
فجأة بالذوبان , ومشاعر
طال نكرانها بدأت تنطلق من عقالها وأحس
روبرتو بذوبانها ,

واستجاب عناقه لهذا الذوبان , وارتفعت
ذراعها حول عنقه ,
واندفعت أصابعها إلى شعره الكث الأسود .
وتصلب جسدها كله

ليلتصق به . . . وأخذت تتأوه وانفجرت

شفتاها , فتمتم روبرتو

وهو يمرر يده على ظهرها مداعباً :

. يا إلهي !

وقع خطوات فرقتهما , فقفزا معاً إلى الخلف

. ونظر إليهما

توماس مارشال بخرج . . .

. أوه . . . كم أن آسف . لست أدري ما . . .

.

استعاد اتزانانه . . . وابتسم :

. أوه سيد مارشال . . تفضل معنا لتناول

القهوة . لا بد أنك

جئت طلباً للغداء . ماريا ستحضره قريباً .

. شكراً لك .

تأمل توماس بجيني مرتبكاً . فأشاحت

بوجهها عنه وهي تعلم

أنه يظنها كاذبة . وقالت :

. يجب أن أذهب لأبدل ملابسي .

فقال روبرتو بصوت ضاحك , ونبرات صوته

توحي بأنه

يتسلى :

. افعلي هذا يا حبيتي !

ركضت إلى غرفتها , ووقفت تتأمل نفسها في

المرآة , منتقده

نفسها , تشاهد بأسى ونفاذ صبر بشرتها

المشتعلة بالحرارة وعينيها

المحمرتين . . . ماذا يحاول روبرتو أن يفعل بها

؟ لماذا جاء بها إلى

هنا ليخدعها ويوقعها في الفخ , ويجعلها

سجينته ؟ لقد اكتشفت أنها

لا زالت تذوب تحت وقع عناقه , وقبلاته .
ولكن عليها أن تجبر نفسها على تذكر أشياء
أخرى , وأن

روبرتو يستجيب لكل النساء هكذا , إنها
مجرد استجابة جسدية

لديه , ولن تتركه يستغلها ليرضي نفسه
للحظات .

رفعت رأسها الأشقر بتصميم . . . ونزلت
إلى الطابق الأرضي ,

لتواجه نظرات روبرتو المعجب بها , ببرود
دفعة إلى الابتسام .

ووضع فنجان القهوة من يده واستدار إلى
توماس مارشال يقول

بفخر :

. زوجتي فنانة . . . وهي موهوبة جداً .

ومرت عينا توماس فوقها , وسحبهما

بسرعة :

. أوه . . . حقاً ؟ هل هي محترفة أم . . . ؟

فانزعجت جيني للسؤال :

. أنا محترفة بكل ما في الكلمة من معنى سيد

مارشال .

وتمتم روبرتو :

. جيني تحب أن تنظر إلى فنّها بجديّة . . أليس

كلّك جيني ؟

فالتفتت تواجهه بنظرة باردة متحدية إياه أن

يسخر :

. أجل . . هذا صحيح !

فقال توماس بشكل أخرق . . محاولاً

الاسترضاء :

. وهل تدربت ؟ أعني هل ذهبت إلى كلية

الفنون ؟

. أجل . .

سارعت لإخباره بشوق عن مدى تدريبها ,

وفي عينيها كل

الطموح الذي تشعر به . . وصاح توماس

فجأة , محدقاً بها :

. يا إلهي ! هل أنت . . . لقد قلت إن اسمك

نيوهام . . . هل

لك قرابة بدانييل نيوهام . . . مصمم الأزياء

الشهير ؟

. إنه والدي .

فردد الشاب :

. إنه . . . إنه فنان رائع .

. أجل , فوالدي مصمم رائع . وأنا فخورة به

.

وتدخل روبرتو ليقول ببرود :

. ولكن زوجتي أفضل منه . . .

فردت نظرها إليه غير مصدقة . ولكنه لم

ينظر إليها بل إلى

وجه توماس مارشال النحيل , وأكمل :

. . . . تعال وأنظر بنفسك .

وقاده تتبعهما جيني , إلى غرفة جلوس صغيرة

تستخدمها إيفا ,

وأمام ذهولها أشار إلى رسم بالأسود والأبيض

, لوجه طفل . . .

إنه أندرو . . . الرسم الذي أخذته إيفا منها

يوم كانت في شقتها . .

لماذا ؟ لماذا يعلق الصورة هنا ؟ أمن أجل

ولده أم من أجلها ؟

وأدار روبرتو رأسه إليها .

. أمر مثير للاهتمام . . . أليس كذلك ؟

ربما يكون كلامه موجه إلى توماس , ولكنه في

الواقع كان

يتحدث إليها . . . واستدار توماس مارشال

وابتسم لها والإعجاب

بادٍ في عينيه .

. زوجك على حق . . . أنت فنانة جيدة . . .

. وإذا كنت فخورة

بأبيك , فلا شك أنه فخور بك أكثر .

أطلت ماريا فجأة من الباب معلنة :

. الغداء جاهز .

وأضافت بالإيطالية أنه سيفسد إذا لم يتناولوه

على الفور , ثم

أضافت بلهجة لاذعة أنه مجنون لخروجه من

سريره , فهو ليس قوياً

كفاية . فرد عليها روبرتو بفضاظة بالإنكليزية

: اخبرسي ! ولكن عيناه

كانتا تضحكان لها , متقبلاً أنها قلقة عليه .

. . . فقالت جيني :

. أظن أن عليك تناول عشاءك في الفراش .

أعتقد أن الممرضة

هي من سمح لك بالخروج .

. سمحت لي ؟ لن تستطيع تلك المرأة أن

تملي إرادتها علي .

المرأة الوحيدة , التي تستطيع إجباري على
الصعود إلى الفراش هي
أنت حبيبتى .

فاحترق وجهها خجلاً . . وغضبت منه ,
وهي تدرك أن هناك

أكثر من زوج من الآذان تستمع وأن ماريا
تبتسم , وأن توماس بدأ
وجهه يحمر .

فقالت تستخدم مزاحه ضده :

. إذن سأقول الكلمة الآن . . اذهب إلى

فراشك روبرتو . .

ما كان يجب أن تخرج أصلاً .

فرفع حاجبيه مبتسماً :

. لوحدني ؟

فاستدارت غاضبة , مخرجة , واتجهت نحو

الباب دون كلمة .

غير قادرة على التفوه بشيء قد يحدث

انفجاراً أمام ماريا

وتوماس . . . كيف يجرؤ على هذا الكلام .

كيف يجرؤ ؟

مرت ساعة الغداء ببطء . . وأحست

بالأسى على توماس .

وتعمدت دفعه للكلام عن عمله . فاندفع

بلهفة للشرح . . . ولم

يحدث خلال هذه الساعة أي تصادم بينها

وبين روبرتو .

وبدأ الشحوب يظهر جلياً على روبرتو , وهم

يقفون بعد الوجبة

فقلت له بجدية .

. يجب عليك أن تذهب إلى الفراش . تبدو

مريضاً جداً

روبرتو .

لا بد أنه كان يشعر فعلاً بالضعف فقد هز

كتفيه واعتذر ثم

تحرك نحو السلم , قائلاً بحدة :

. تعالي معي جيني . أود الاستناد إلى ذراعك

وأنا أصعد

السلم .

وصاحت به بعد أن وصلا إلى غرفته وانهار

فوق سريره :

. لماذا تركت فراشك بحق الشيطان ؟

فقالت الممرضة ببؤس :

. لقد قلت له هذا .

واستلقى على الوسادة ويده تفك ربطة عنقه

, جفناه نصف

مغمضتين , يحدق بها بابتسامة ساخرة :

. لم تأتي إلي فجئت إليك .

. حسناً ستبقى الآن في الفراش لما تبقى من الوقت .

فقلت الممرضة :

. بالطبع يجب أن تبقى . وإذا رفضت

نصيحتي سيد باستينو ,

فلا فائدة من بقائي هنا . كنت مريضاً جداً

والراحة ضرورية لك .

. لا تفتعلي ضجة يا امرأة .

تركته جيني بين يدي الممرضة لتحضره للنوم

, فسألها :

. أين أنت ذاهبة ؟

فوقفت عند الباب :

. أظن أنني سأنام قليلاً . . . فتلك النزهة

صباحاً أتعبتني .

فقالت الممرضة :

. هذا هو التعقل بعينه .

فأردف روبرتو ساخراً :

. وهل بدأت تضعفين يا جيني ؟ مشوار صغير

وأحسست

بالإرهاق ؟

فردت بخشونة :

. هذا صحيح .

وتسللت من الغرفة لتسمعه يضحك وهي

تقفل الباب . في

الواقع كانت مرهقة أكثر مما تصورت , فما

أن أسدلت الستائر ,

واستلقت في الفراش حتى غطت في نوم

عميق .

عندما استيقظت كانت الغرفة غارقة في ظلام

حالك . لا يوفره

سوى الريف حيث لا أضواء صناعية فيه . .

ناعسة , تحس بوجهها

الحار وشعرها المشعث , نهضت من الفراش

, وأضاءت المصباح

قرب سريرها , فشعشت غرفتها بأنوار

ناعمة .

نظرت إلى ساعتها , وأدركت بذهول أنها

نامت خمس ساعات .

ولقد فات وقت العشاء . . . أحست

بالجوع لدى تذكرها الطعام .

فسرحت شعرها بسرعة , وتركته منسدلاً
حول وجهها , ورشت على
بشرتها قليلاً من الماء , وصبغت شفتيها
بقليل من أحمر الشفاه
الزهري .

توقفت لحظة عند باب غرفة روبرتو ,
متسائلة ما إذا كان قد نام
أم لا . . وأكملت المسير , لتفاجأ به يفتح
باب غرفته ويقف في

بيجامته الحريية السوداء فوقها الروب

الأسود . وسألها ممازحاً :

. استيقظت أخيراً ؟ اعتقدت أنك لن

تستيقظي .

. كنت تعب .

. كنت تبدين كفلة صغيرة متكورة على

جانبيها .

خفق قلبها كالرعد وقد عرفت أنه دخل

غرفتها . . . وأغضبها

هذا , حتى احمرت وجنتاها , ولمعت عيناها

الخضراوان وقالت :

. ابتعد عن غربي روبرتو !

واختفى عن وجهه تعبير المزاح , وتحولت

عيناها إلى

البرود . . . فأمسك بذراعتها وجذبها إلى

غرفته فصرخت وهي

تقاومه :

. اتركني !

فتجاهلها :

. لقد تركت لك ماريا بعض الطعام هنا .

. سأكل في غرفة الطعام .

. ستأكلين حيث أقرر أنا .

. اللعنة عليك , توقف عن دفعي هكذا !

أقفل الباب بقدمه , وتركها مستنداً إلى

الباب :

. اجلسي وتناولي عشاءك .

أعلنت معدتها الإنذار بأنها جائعة , فرفعت

الغطاء الأبيض عن

الصينية . . رائحة الطعام لا تقاوم , ومع أنه
بارد . فجلست وبدأت
تأكل . واستدار روبرتو إلى فجوة في جدار
غرفته وأدار الكهرباء
على إبريق القهوة . . . وما هي إلا دقائق
حتى تصاعدت الرائحة
الذكية لتملأ الغرفة . وصب لنفسه ولها
فنجانين من القهوة التركية
الثقيلة الخالية من السكر . فقالت له :
. إنها قوية عليك .

فرد عليها بتقطيعة .

. أنا كبير بما يكفي لأقرر ما هو صالح لي وما

هو غير صالح .

لقد كان دائماً مدمناً على هذا النوع من

القهوة الثقيلة . يحتسي

كوباً وراء كوب منها . . . فقالت :

. إنها مضرّة لأعصابك !

. الإحباط هو السيء للأعصاب .

. لن أصغي إلى ترهات كهذه . . كيف تجرؤ

على الحديث معي

بـهـذه الـلهـجـة , خـاصـة بـعـدـما فـعـلت مـعـي ؟
وـمـاـذا فـعـلت ؟
تـعـرف جـيـداً مـا أـعـني !
وبـدأ عـلى وـجـهه بـراءـة المـلائـكة :
أخـبرـني . . .
كـادـت تـقـذفـه بـالقـهـوة السـاخـنة , وأخـذت
يـدـاها تـرتـجـفـان رـاغـبة
فـي صـفـع ذـلك الـوجـه البـارـد وـقـالـت سـاخـرة :
لـا تـتـظـاهـر بـأنـك فـقـدـت الـذاكـرة ثـانـية .
فـضـحـك :

. ذاكرتي كاملة . . وكيف حال ذاكرتك ؟

. أوه . . . كل التفاصيل فيها كنور الشمس .

. . أتعتقد

أنني نسيت مقدار ذرة مما رأيته بعيني ؟

ورد بخشونة :

. لا . . . لا أعتقد أنك نسيت .

الاعتراف آلمها بوحشية وكأنه سيف يغرز في

قلبها . . . لم

يكونا قد تحدثا عن الأمر من قبل . فهي لم

تشاهده منذ مغادرتها

لغرفة نومها بعد أن شاهدت جيسكا بين

ذراعيه , ونظرت إليه

بكرهية :

. وكيف يمكن لك أن تواجه الأمر بكل هذا

البرود ؟ أكنت

تتوقع أن أتجاهل ما فعلت ؟ لو كنت أنت

من دخل وشاهدني بين

ذراعي رجل آخر . . . هل كنت ستقول ((

آه . . . أن آسف)) وتعود

للخروج ؟

و نطقت شعله النار في عينيه قبل أن يتكلم

.

. الآنني لم أشاهدك مع كراولي , هل تظنين أن

هذا أسهل

علي ؟

. ولكنني لم . . .

ولم يفته معنى كلامها , فسأل بحدة :

. ألم تفعلي ؟ كل هذه السنوات وأنت معه

طوال الوقت ,

وتتوقعين أن أصدق أنكما بريئان .

. علاقتي معه ليست من شأنك . . . وعمل

كل الأحوال أنا

سأ تزوجه . أتذكر هذا كما أرجو ؟ نحن

مخطوبان .

ارتدت شفتاه عن أسنانه مكشراً تكشيرة

الغضب :

. أوه . . بل أذكر . . فهذا ما كان يشغل

بالي وأنا أقود

السيارة .

. عندما حصل الحادث ؟

. أجل عندما حصل الحادث ؟

فقلت له ساخرة :

. لسوء الحظ أنك لمرة واحدة لم يكن

تركيزك الرائع يعمل .

علمت أنها تمادت , وهي تلاحظ الشرر

يتطاير من عينيه . .

وقفت بسرعة ولكن متأخرة , فقد قبض

عليها روبرتو بعنف ,

وعندما أطبق بفمه عليها أحست بأنها

كانت تنتظر منه هذا منذ

دخلت غرفته , لقد تجاوزت مرحلة الادعاء

. . . أرادت أن تحس

بجسده القاسي يجبرها على الالتصاق به .

حتى إنها لم تقاومه وهو

يفعل , وتعانقا بجوع , والحرارة تكاد تشعل

جسديهما . وأدركت كم

تتلهف لأن تكون له ثانية . وسمعته يهمس في

أذنها :

. قل لي . . الحقيقة . . هل أنت

وكروالي . . ؟ هل

كنتما . . . ؟

السؤال شئت مزاجها وكأنها تلقت صفعة . .

وعاد إليها

وعينا , فكرهت نفسها على الجنون الذي

استولى على جسدها

وجعلها تنسى ما فعله روبرتو بها , وما

سيفعل بكل سهولة

مستقبلاً . فشهقت , لتقاوم لتحرر نفسها :

. اتركني . . . !

. أجيبي أولاً !

فنظرت بمرارة إلى عينيه وصاحت :

. أجل . . . أجل !

وضربها , وكادت الصفحة تطيح برأسها عن

رقبتها , فحدقت به

مصدومة وفي أذنيها طنين حاد .

. أيها الخنزير !

فضربها ثانية , وقفزت الدموع من عينيها ,

وأخذت ترتجف ,

وذعرت فجأة , فقد ظهرت في عينيه غيرة

متوحشة , وأصبح غريباً

تماماً عنها . . . بربري بدائي , عدواني قد
يفعل أي شيء .

وقفت تنظر إليه بذعر , وكأنها حيوان خائف
. كان ينظر إليها .

وهو يتنفس بقوة وكأنه يفكر بما سيفعل تالياً
 , أو كأنه يكافح كي

يستعيد السيطرة على أعصابه . إنه يحاول
السيطرة على مشاعره التي

تجعل دمه يغلي . . ثم قال بأنفاس متقطعة :
. لم أكن أنوي أن أراك ثانية .

. وأنا تمنيت من الله أن لا أراك .

فتنهد بخشونة . . ثم قال بعد صمت :

. صحيح . . لقد آلمنا بعضنا بعمق حتى أننا

لن نستطيع أن

نغفر لبعضنا .

وغلى دمها لكلامه :

. آلمنا بعضنا ؟ ماذا فعلت أنا لك ؟ لقد

ارتكبت الخيانة

الزوجية , ولست أن من ارتكبتها روبرتو !

. لقد اعترفت لتوك أنك هربت من منزلي إلى

ذراعي كراولي .

. لقد ذهبت إلى منزل والدي . . و غرانت لم

يكن هناك .

. ولكنك رأيته تلك الليلة ؟

. لا !

. لا تكذبي علي . أعرف أنك فعلت هذا

جيني . كنت في

فراشه تلك الليلة .

وصاحت بغضب :

. لا !

. أيتها الكاذبة العينة ! لقد اعترف هو بهذا .

واجتاحتها موجات من الصدمة :

. عم تتحدث ؟ متى قال لك غرانت . . . ؟

ودفعها عنه ثم سار إلى الطرف الآخر من

الغرفة :

. لقد جئت إلى منزل أبيك في اليوم التالي .

حينما أخبرني !

وأحست ببرودة الثلج . . . وتذكرت العراق

الذي سمعته ,

وصوت غرانت الغاضب المرتفع , ولهجة

روبرتو الخشنة المتسائلة ,

لقد كذب عليه غرانت . . ولكن لماذا ؟ أم

إن عليها أن تكون شاكرة

لهذه الكذبة ؟ إنها تدرك الآن أن غرانت كان

يحاول إنقاذ كبريائها ,

ويرد الصاع صاعين لـ روبرتو , بعد معرفته

بأنها وجدت جيسكا في

فراشها

وتنهدت . . . تنهيدتها دفعت روبرتو

للتحديق بها , ثم قال :

. كان يجب أن أستدعي كراولي للشهادة

في محكمة

طلاقنا . . . ولكن هذا كان سيعطي

الصحف مادة فضائح إضافية

للنشر .

. لقد كان لديهم ما يكفي لنشره عندما

تزوجت جيسكا , خاصة

أنها كانت على وشك أن تلد لك ابناً .

التوى فمه وعاد إليها متوتراً :

. لم يقل لي كراولي متى . . . فهل ذهبت

إليه مباشرة بعد أن

شاهدتني . . .

عرفت بالطبع ما يعني , وسمعت لهجته

المكبوتة فقالت ببرود :

. لست أنوي مناقشة الأمر معك .

فأمسكها بكتفيها وهزها :

. أوه . . بحق الله ! الأمر مهم لي , ألا

تفهمين , يجب أن

أعرف ؟

فنظرت إليه ببرود وازدراء .

. غرورك بنفسك بحاجة ليعرف أنني ذهبت

إلى غرانت لأني

وجدتك غير مخلص لي . . أليس كذلك ؟

. أيتها العاهر !

وردت وهي تكافح لتظهر البرود :

. على الأقل . . لم أحمل بطفل لأثبت لك

هذا .

فهمس بألم :

. أوه . . يا إلهي . . يا إلهي . . أكاد أقتلك

!

ورفعت حاجبها ببرود وتعالٍ :

. تكاد تقتلني ؟ لطالما نظرت إلى كل شيء

من زاويتك

أنت . . ولكنني لم أكن لأتصور أنك أعمى

لدرجة أن تلومني أنا

على فعلتك .

ودفعته في صدره وقالت ببرود وأدب :

. هل لي أن أنصرف الآن ؟ أرجوك ؟ فهذا

النقاش يضجرتني .

فابتسم , وكانت الابتسامة سلاحاً بحد ذاتها

. فقد أغضبته

وأرسلت قشعريرة رعب في أوصالها , لتذكر

على الفور أنها تحت

رحمته , ولا يوجد من تطلب العون منه .

وقال بنعومة , نعومة زائدة :

. لا . . . حبيتي . . لم أنته منك بعد .

فهمست بصوت خافت مذعور , وقد تخلت

عن كل كبريائها :

. لو لمستني فسأكرهك أكثر .

ضحك , وبدأت الرغبة واضحة في نظراته . لم

ينظر إليها من

قبل هكذا . . صحيح أنه كان ينظر إليها

دائماً برغبة , ولكن ممزوجة

بالحب . . أما الآن , فلم يكن هناك شيء

دافئ أو ناعم في تعبير

وجهه . . لم تشاهد مثل هذا التعبير على

وجه رجل من قبل .

ولكنها أصبحت تعرفه الآن . . . إنها

الشهوة . إنها كلمة قبيحة لشعور

أقبح . ولكن هذا ما شاهدته في وجهه . . في

عينيه بريق شيطاني ,

غير إنساني , وفتحتا أنفه ابيضتا . فهمست

:

. لا تفعل هذا ! أرجوك !

وراقبت يداه تتحركان ببطء , ولم تكن

تتمكن من الحراك , فقلبها

كان يضج في حنجرتها , وتسمرت في مكانها

. وسمعه يقول :

. كان أمامك خمس سنوات لتعلمي فيها

كيف تسعدين

الرجل . أريد أن أعرف كم علمك كراولي في

هذا المجال .

وأفلتت من الرعب الذي جمدها . .

وصاحت به .

. أفضل أن أموت .

. بإمكانك الموت بعد أن أنتهي منك .

وأجبرها على الاستلقاء فوق السرير , ودفع

ذراعيها فوق رأسها

حتى أصبحت عاجزة , مثبتة بفعل جسده .

وأخذ يراقبها وهي هكذا

وكأنه يتمتع بإذلالها مراقباً محاولات خلاصها

.

وواجهت عقم مقاومتها فصاحت به من بين

أسنانها :

. أوه . . . كم أكرهك !

. عظيم . . هذا يجعل الأمر ألد بالنسبة لي .

وأطلق أحد ذراعيها , وأمسك بالبلوزة

الحريرية , وتعالى صوت

تمزيق الحرير الرفيع وقالت بطفولية :

. لقد أفسدت فستاني .

فضحك وهمس :

. سأشتري لك آخر . . . يا حبيتي .

وقاومت المشاعر التي بدأت تظهر كما

قاومت تماماً يديه ,

حتى لم تعد تستطيع الادعاء بأن هذا لا

يحصل لها , أو إنها تحلم

كما كانت تحلم من قبل .

وأخذ يتنفس بصعوبة , وغطست جيني

داخل أمواج الرغبة التي

تدفقت من بحر ذكرياتها . . ومنذ اللحظة

توقفت عن المقاومة

غير المتساوية .

واعترفت لنفسها أنها لم تعد تهتم حتى . فقد

ذابت بنعومة بين

يديه , مع علمها الوثيق أنها تركب موجة قد
تدمرها . ولكنها كذلك

تعرف , أنها عادت بعد خمس سنوات إلى
روبرتو روحاً وجسداً .

* * *

نهاية الفصل ((السادس)) . . .

7 . لحظة اعتراف

استفاقت في اليوم التالي منهكة , رأسها
يؤلمها , ووجهها
شاحب . نظرت إلى الساعة الذهبية الدقيقة
التي وضعتها على طاولة
قرب سريرها , فوجدت أن الساعة قد
أصبحت العاشرة , وعلى
مضض نهضت واغتسلت , وارتدت فستاناً
من الحرير الأبيض الرائع
التفصيل . ومشطت شعرها , ولفته حول
رأسها وثبته بأصابع

مرتجفة .

عندما نزلت إلى أسفل , نظرت إليها ماريا

وسألتها بصوت

عميق :

. قهوة وكرواسان ؟

. شكراً لك .

عندما أحضرت لها طعام الفطور , جلست

إلى الطاولة وصبت

لنفسها فنجان قهوة دون سكر عل قوتها

وسخونتها تعيد إليها شيئاً

من قوتها . ولم تستطيع لمس طعامها . فقالت
ماريا :

. روبرتو لم يأكل شيئاً كذلك !

احمر وجه جيني . وارتعش جفناها . .

وأكملت ماريا :

. إنه في فراشه . . لقد تعب البارحة .

انفجرت جيني بضحك هستيري , لم تستطع
السيطرة عليه ,

وعلمت أن ماريا تحقق بها بفضول . .

واستجمعت ما استطاعت

من قوة لتسيطر على نفسها . . . وأحنت
رأسها على فنجان القهوة .

ودخل توماس مارشال بعد دقائق وحياتها
بأدب :

. صباح الخير سيدة باستينو .

. صباح الخير .

وقال لها بلهجة غريبة :

. أنا مسافر اليوم .

وأحست أن روبرتو قد دبر أمر رحيله .

. حسناً . . سعيدة بلقائك . أتمنى لك رحلة

موفقة .

ونظر إليها :

. البحر هادئ تماماً اليوم .

. وهل سيأتي صديقك أم ستستقل قارب

صيد ؟

. لقد اتصل زوجك بصديقي .

. أتمنى أن تكون قد أنجزت دراستك . وأتمنى

لك التوفيق

فيها .

. شكراً لك سيدتي .

واستدارت عنه لتخرج من المنزل . . .
سارت فوق صخور الشاطئ , تراقب لمعان
البحر الفضي

تحت شمس الشتاء الباهتة الأمواج كانت
هادئة ساكنة . بينما كان

الأفق متشحاً بالزرقة الموشحة بالغمام
الأبيض هنا وهناك .

عندما عادت إلى المنزل , وجلست تتناول
الغداء لوحدها قالت

ماريا :

. لقد ذهب !

علمت أنها تقصد توماس , وتذوقت قطعة

من لحم الحمل

الذي طبخته ماريا بالأعشاب البرية

وابتسمت لها :

. أنت طبخة ماهرة .

وبدا السرور على ماريا .

. على الأقل أنت تأكلين الآن .

. وهل أكل روبرتو ؟

فأجابت ماريا بابتسامة :

. أجل قد أكل . لقد نام طوال الصباح .

لقد كان متعباً . . يا

للمسكين .

. أراهن أنه كان تعباً .

أحست بالغضب لما قالت له بعد أن انفجرت

ماريا بالضحك

وخرجت . وبطريقة ما جعلها هذا أكثر

غضباً . . وبدر في ذهنها أن

روبرتو ما أجبرها على هذا إلا ليرضي غروره
. إن له قوانينه التي

تنطبق على الرجال وليس على النساء . ولا
يشعر بأي خجل لأنه نام
مع جيسكا , بينما يسمح لنفسه بأن يغار
ويغضب لأنه يظن أنها
عاشرت غرانت .

وأحست بنفسها تتلوى من الداخل , كما
تتلوى الأفعى . لقد

خانتها مشاعرها وتجاوبت معه . . . وأحست

بهذا الآن . شعرت

وكأنها تستحم بطوفان جليدي كلما تذكرت

ما حصل .

هل من الممكن أن تحب وتكره , تحتقر

وترغب في آن واحد ؟

أغمضت عينيها , وتناهى لها عن بُعد هدير

الأمواج وكأنها

تقهقه بسخرية . . يا إلهي كم تكره نفسها !

لقد كانت سهلة المنال

أمامه . . كانت تتظاهر بأنها تقاوم . . ولكنها

بعد دقائق استسلمت .

ونزل روبرتو للعشاء , لم تكن تتوقع رؤيته ,

وأحست بالألم

يعتصر قلبها لرؤيته . فارتجفت وشحب

وجهها . . . ولم تستطع أن

تتكلم بل رفعت رأسها أمامه متحدية . .

وابتسامة صغيرة ملتوية

تطفو على شفيتها .

. لا شيء تقولينه . هذا تغير ملحوظ !

وتكلمت عندها . . الكلمات تنطلق

بغضب :

. وماذا تتوقع أن أقول ؟ أنت تعرف تماماً ما

أشعر به نحوك .

فمنظرك لوحده يثير الغثيان !

وضاقت عيناه :

. ولكن هذا لم يكن الانطباع الذي لاحظته

ليلة أمس .

. قد تكون هذه أخبار جديدة عليك . . .

ولكن للنساء رغبة

كذلك . حتى مع الرجال الذين يكرهونهم .

. يجب أن أحنقك لهذا الكلام !

. لماذا ؟ ألا تحب سماع الحقيقة ؟ أما كانت

التجربة لكلينا

إذن ؟ كنت ترغب بي , وأنا كذلك .

وتراجع , وأحست بتراجعها من طريقة فرضه

لقناع هادئ فوق

وجهه الغاضب . بعد دقائق بدت أبدية قال

:

. أوه . . صحيح حبيتي . . لقد رغبت بك

.

. لا تناديني بهذا !

وكانت لهجتها مقرفة . . فكرر وهو يعلم أنه

يؤلمها :

. حبيتي !

فهمست بنفس لهجته :

. أكرهك !

. كيف تشعرين وأنت تحترقين رغبة مع من

تكرهينه ؟

أحست به يقف إلى جانبها , وتكهرب جو
الغرفة كله , أسندت

رأسها على ظهر الصوفاء تحاول تهدئة نفسها ,
وقالت عبر أسنانها :

. لقد مر علي الوقت كالجحيم . . ولكنه
انتهى أخيراً .

فضحك ساخراً , وبدأت أسنانه من بين
شفتيه :

. كالجحيم . . وهل تظنين نفسك ستتمكنين
من الخلاص من

البحيم ؟ قولي هذا بعد شهر وقد أصدقك

.

أحست بالشتات والضياع فصاحت :

. شهر . . لا . . لا يمكنك هذا ! لأجل الله

روبرتو !

. أتظنين أنني سأتركك تذهبين بعد ليلة أمس

؟

. ألم تكفك . . ؟ ستدمريني هكذا . . دعني

أذهب !

. لن يريدك كراولي بعد الآن . . مرة أو مئات

المرات ما

الفرق ؟ حقيقة أنني حصلت عليك ستبقى

شوكة في حلقه .

فاحمر وجهها غضباً :

. أهذا هو السبب ؟

وانحنى فوقها ليرفع رأسها بأصابعه :

. تعرفين تماماً أنه لا !

. أنت لا تطاق . . أرجوك دعني أذهب . .

لا أستطيع تحمل

هذا !

. لقد جئت إلى هنا بمحض إرادتك .

. لقد أوقعت بي .

. يا عزيزتي , الفخ كان واضحاً , وكنت

تعرفينه . وسرت إلى

داخله بإرادتك . . لم أجبرك على المجيء . .

كيف يمكن أن أفعل

هذا ؟

. لقد صدقت أنك فاقد الذاكرة , وأنت

مريض .

. اكذبي على نفسك , وليس علي . لقد

جئت لنفس الغرض

الذي أردتك أن تأتي من أجله . لم ينته

الأمر بيننا جيني . . . ولن

ينتهي . إنه ما زال يلتهمك من الداخل . .

أليس كذلك ؟

عندما كانا يتناولان القهوة بعد العشاء الذي

أعلنت عنه مارا ,

أخذت تفكر بالمستقبل . ووضعت فنجانها

من يدها ووقفت . . .

فأمسك بها :

. أين تظنين نفسك ذاهبة ؟

. إلى الفراش . . . فأنا متعبة .

فتركها وقال بخشونة :

. تصبحين على خير إذن .

لم تستطع التصديق , وسارعت للابتعاد .

وفي غرفتها وقفت

تصغي لعله يتبعها . ولكنها لم تسمع

سوى الصمت , وخلعت

ملابسها ودخلت السرير . . . وبصمت

استلقت وكأنها تتوقع شيئاً ,

فهي تعلم أنه لو جاء , فسيأخذ ما يريد ,

فليس لديها قوة الإرادة أو

الطاقة لمقاومته .

عندما استيقظت صباحاً كانت الشمس تملأ

الغرفة , وعندما

خرجت من غرفتها كانت الممرضة تقف في

الممر خارج غرفة

روبرتو . . . فنظرت إليها قائلة :

. ألن تزوري زوجك اليوم . . . لقد استفقدك
بالأمس .

حسدتها جيني على سذاجتها في رؤية الأشياء
دون فهمها

وقالت بأدب :

. بالطبع سأراه . . بعد تناول الفطور .
أثناء تناولها للقهوة , قالت لها ماريا فجأة :
. ستجهدن نفسك في مقاومته . روبرتو لم

يقر بالهزيمة في

حياته كلها .

وردت بأدب ولكن بحزم وغضب :

. لن أناقش أمر زواجي معك ماريا .

وازداد غضبها عندما ضحكت ماريا .

. لقد كان هكذا منذ صغره . عنيد , متملك

, وأي شيء

يمتلكه يصبح من المحرمات .

. ولكنه لا يملكني !

. صحيح ؟

فوقفت جيني لتقلب الكرسي بعنف إلى

الوراء :

. لا ماريا ! فأنا أملك نفسي !

ولكن هل هذا صحيح ؟ سألت نفسها وهي
تصعد لرؤيته . .

كيف تدعي ملكيتها لنفسها وهو قادر على

امتلاكها متى شاء ؟ وهو

يعرف هذا تماماً كما تعرفه هي !

كانت الممرضة ترتب الأدوية فوق الرف

قرب السرير ,

فابتسمت لجيني مرحبة :

. أرايت سيد باستينو , قلت لك إنها قادمة !

وقفت جيني عند النافذة وقالت :

. وأنا هنا , يمكنك رؤية ابنك . . ألم تحن إليه

؟

. بلى . . شاهدته في المستشفى . أخبرتني

أمي بهذا . . ما رأيك

به ؟

. إنه يشبهك .

فضحك .

. وهل هذا إطراء أم إهانة للصبي المسكين ؟

. لا شيء . . إنه تقرير لواقع محدد .

. وهل تكرهينه لأنه ابن جيسكا ؟

فشهقت للسؤال . . ثم قالت بخشونة :

. لا يمكن أن أكره طفلاً لأي سبب كان .

. ولكنك تفضلين أن تتذكري وجوده ؟

. وهل ستحب رؤيتي مع طفل غرانت ؟

فرد بحدة :

. لا !

نظرت إليه متفحصة . . هل هي الرغبة فقط

التي تحس بها أم

إن خلفها شيء آخر ؟ وهل سيحس بالمرارة
إذا عرف أن ما بينهما لا
يحتوي الحب بل الرغبة فقط ؟ وسمعه يقول
وكأنه يكلم نفسه :
. أندرو سعيد على ما هو عليه .
وسارت نحو الباب فسألها كالعادة :
. إلى أين أنت ذاهبة ؟
فردت بحدة :
. إلى أي مكان غير هنا . فأنا أجد صحبتك
لا تحمل !

وأغلقت الباب كي لا تسمع ما سيقول ,
وهربت إلى الخارج ,
إلى الهواء النقي البارد . . عندما تعود إلى
منزلها ستحبس نفسها
لتعمل وتنسى كل شيء . . . ومع ذلك
فسيكون كل عملها مصبوغ
بمرارة هذا الشهر الذي ستقضيه هنا .
لم ينزل روبرتو للعشاء . فتناولت الطعام
لوحدها , وحافظت
ماريا على جو ودود معها وهي تخدمها .

تلك الليلة لم تستطع النوم إطلاقاً . استلقت

صاحبة تماماً في

فراشها تصغي إلى همهمة البحر البعيدة . .

تأمل برغبتها التي

تركها بيضاء شاحبة ومنهكة القوى في

الصباح . وتفحص روبرتو

وجهها ملياً عند الفطور , وعلمت أنه قرأ

العلامات بالأبيض

والأسود على وجهها .

وخرج معها في نزهة قصيرة في الحديقة , يقف
من وقت إلى

وقت ليحرق بالبحر . الهواء بارد وفي

السماء غمام خفيف تختبئ

الشمس خلفه .

وقت العشاء , لامست يده يدها وهو يناولها
قطعة خبز ,

وأحست بقشعريرة . ولم تستطع كبح ارتجافها
. . . وتمتم :

. الأمر يزداد صعوبة . . . إنه هكذا دائماً .

. عمّ تتحدث ؟

. عن الإدمان . . مهما قاومت بقوة , إذا

كان يجري في دمك

فستحتاجين جيني إليه . . وكلما ازدادت

مقاومتك له كلما زاد

جوعك إليه .

. لن أدع هذا يحدث مرة أخرى .

وتركته لتذهب إلى غرفتها .

مضت ساعات على الصمت المطبق الذي

يغلف المنزل .

ولكنها تعلم أن روبرتو صاح , فذبذبات
مشاعره كانت تصلها من
غرفته عبر الجدران , لتبقيا صاحية , تحارب
نفسها وتحارب
نداءه .

عندما فتحت باب غرفته كان ضوء المصباح
الأصفر يكوّن
دائرة صفراء حيث يستلقي . رأسه الأسود
فوق الوسادة , وعيناه
تضيقان فوقها وهي تدخل .

وببطء ارتفع رأسه , وضافت عيناه فيها ,

لتبدي إعجابها بثوب

النوم الحريري بلون القهوة الذي ترتديه ,

والروب المماثل بأطرافه

الحريرية المطرزة القائمة .

حرك يده , ليعم الظلام الغرفة . . .

وتقدمت نحوه في

الظلام . . وأطبقت يداها عليها بقسوة وكأنه

يعاقبها على تأخرها في

مقاومته , فحبها له ورغبتها فيه لم يموتا بعد ,

وهذا ما عليها أن

تعترف به . . . لقد فقدت كل كرامتها , ولم

تعد تهتم لشيء وهي

تهتف له : أحبك . . أحبك !

وعادت إلى غرفتها في الضوء الشاحب

للصباح , كارهة أن

تركه نائماً , وتبتعد عن دفء ذراعيه .

وأخلدت للنوم فقط بعد أن

أفرغت رأسها وقلبها من الدموع .

دهشت عندما شاهدته وقد نزل إلى غرفة

الطعام لتناول

الفطور . . ونظرت ماريا إليه بابتسامة دافئة

راضية , وقالت :

. هكذا يجب أن تبدو ! أنا أشاهد روبرتو

الذي أعرفه !

نظرة واحدة أفهمت جيني ما تعنيه ماريا .

فقد ذهب اللون

الشاحب عن وجهه , وعيناه عادتا إلى الحياة

, مليئتان بالصحة ,

جسده يتحرك برشاقتة القديمة , مزاجه كله
مزاج رجل استعاد قوته .
تركتهما ماريا , وجلس روبرتو على كرسیه
عند الطاولة . . .
نظر إليها وتنهد :
. هل ستبقين مكتئة طوال النهار . . ألم
نتخلص من الأرواح
الشريرة ليلة أمس ؟
. صحيح ؟

لم تنظر إليه . . هل يظن أن بإمكانه طرد

ذكرى جيسكا بمجرد

أن تقضي ساعتين معه ؟ وقال لها :

. لا بد أن ما ذرفته من دموع كان له معانٍ ؟

فاستدارت إليه غاضبة :

. ألا تعلم ماذا تعني ؟ إنها تعني أنني كنت

خجلة من نفسي .

عاد وجهه إلى القساوة وضافت عيناه :

. أتخجلين من الاعتراف بأنك تحبينني ؟

أصابها كلامه بلكمة في معدتها , فأجفلت
من الصدمة ,

وراقبتها عيناه فتأوهت وغطت وجهها بيديها

:

. أوه يا إلهي ! كم أنت وغد !

. ألهذا السبب لم تستطيعي أن تتزوجي

بكرولي ؟

وصب لنفسه القهوة وأخذ يحتسيها , وكأنما

ردها لا أهمية له .

وردت بمرارة :

. زواج واحد كان يكفي .

. ومع ذلك كنت تنوين الزواج به .

فهزت كتفيها :

. نحن ملائمان لبعضنا . . فلم لا ؟

وكشف عن أسنانه بابتسامة قاسية :

. كراولي لن يناسبك مطلقاً . . إنه ناعم جداً

.

كان كلامه أقرب إلى الحقيقة حتى إنها

أحست بالغضب :

. لا تسخر من غرانت ! أنت من بين كل

البشر ! ليس هذا من

حقك . إنه يساوي عشرة منك !

. ومع ذلك أنت تحبيني أنا .

وردت بعنف :

. لا !

فقال ببرود :

. أوه . . . بلى . . . أنت تحبيني , ولكن

الاعتراف يؤلمك

جداً . بيد أني انتزعت ذلك الاعتراف منك

.

وأصبحت عيناها واسعتان وحشيتان كعيني

قطعة بريّة متوحشة

وأردفت :

. ولكنني لا أريد أن أحبك .

فابتسم وقال :

. أعلم . . . لقد أوضحت لي هذا . . . فأنا

خنزير لا أطاق ,

وأنت تكرهين رؤيتي . هل تعتبرين عدم
قدرتك على الابتعاد عن
فراشي إطراء لي ؟
وطارت إليه مكورة الأصابع لتخبش وجهه ,
ولكنه أمسك بها
وأنزلها إلى ركبتيه , فقاومته بعنف , وصلبت
جسدها فوق ذراعيه .
ثم أخذ جسمها الغبي الخائن , يخونها من
جديد , والتفت ذراعاها

حول عنقه , تلامس شعره , مؤخرة عنقه ,
وأخذت تتأوه لعناقه .

وأخيراً توقف , ونظر إلى وجهها الأحمر
الملتهب بحرارة .

. كيف تمكنت من السماح له بلمسك ,
وأنت تحبيني هكذا ؟

كيف ؟ أخبريني الآن . . هل ذهبت إليه بعد
أن شاهدت جيسكا
معي ؟

فهزت رأسها نفياً وبضعف , فأجفل ,

وسأل همساً :

. وقبلها ؟

. لم يلمسني يوماً .

وغُرْزَت أصابعه في كتفها :

. ماذا ؟

. أو . . . لقد كنت غاضبة لدرجة الاستعداد

لرمي نفسي بين

ذراعي أي رجل لمجرد الانتقام . . . ولكنني

لم أفعل !

فحديق بها :

. ولكن كراولي قال . . .

. لقد كذب . . . كلانا كذبنا . . . إنه لم

يكن يوماً . .

. اللعنة عليه ! الكاذب اللعين !

وعلا وجهه بياض بارد كالموت بدد كل أثر

للحياة فيه ما عدا

حركة عينيه السوداوين فقالت بقلق :

. روبرتو .

فدفعها عنه , ووقف , ثم أخذ يذرع الغرفة

مكفهر الوجه

متصلب الجسد . ووقفت جيني حيث هي .

. . . ترتجف , تفكيرها

مشوش تماماً . . ماذا قالت له كي يغضب

هكذا ؟ لقد توقعت منه أن

يبتهج , لا أن يغضب بمرارة .

هل هو غاضب لأن غرانت كذب عليه ؟ لا

بد أن يفهم أن

غرانت كان يحميها منه ؟ لقد انزعجت في

البداية عندما علمت ما

قاله له . ولكنها بعد ذلك فهمت أنه فعل

هذا لمصلحتها , لإنقاذ

كرامتها . فلماذا يغضب روبرتو هكذا ؟

* * *

نهاية الفصل ((السابع)) . . .

8 . لن أدخل سجنك

لم تشاهد جيني روبرتو لما تبقى من ذلك

النهار , ولا زارته ,

فقد جرح مشاعرها بقوله إنها ستزحف إليه .

جلست في غرفتها تتسلى بمراجعة رسومها ,

لتكتشف أن خلفية

كل تصاميمها كانت مناظر تأثرت بها هنا ,

مرت من عينها إلى يدها

دون أن يتأثر عقلها بها , فقد وجدت في

مناظر الجزيرة عاملاً

محرکاً لاتجاه آخر في الرسم . . . وهي تعلم
أنها قادرة على

رسمها , بل أرادت أن ترسمها , فأصابعها
كانت تتوق للرسم . كان
عقلها الباطن يسجل مناظر أحست بوجوب
نقلها إلى لوحة .

اليوم الثاني كان براقاً وصافياً , والشمس قوية
, والبحر متألق

هادئ بالرغم من وجود بضع موجات بيضاء
تبدو في الأفق البعيد

وهي تقترب من الساحل , وطيور البحر

قريبة من الأرض , وهذا

دائماً يعني أن طقساً سيئاً يختبئ خلف هذه

المناظر .

عندما نزلت إلى الطابق الأرضي , كان روبرتو

هناك , يقرأ

الصحف . قهوة بردت في الفنجان , وقطعة

كرواسان تحمل قسمة

منه .

تنفست عميقاً ثم تقدمت نحوه , فرفع نظره

إليها , وسأل :

. أنمت جيداً ؟

. نعم شكراً لك . . وأنت ؟

ولامست إبريق القهوة لتجده فاتراً , فرن

الجرس :

. ستأتيك ماريا بغيره .

وعرفت ماريا ما هو المطلوب , فأحضرت

معه إبريق قهوة

طازجة ونظرت إلى روبرتو ويديها على

خصرها :

. هل قلت لها ؟

. اهتمي بشؤونك !

فشخرت ماريا وضافت عيناها بالغضب :

. أليس هذا من شأني ؟ إذا ازدادت حالتك

سوءاً فمن سيعتني

بك ؟

ونظرت إليه جيني بفضول :

. عم تتحدثان ؟

. لا تأبهي لها .

فقلت ماريا :

. الممرضة .

فرفع رأسه ونظر إليها بغضب :

. عودي إلى المطبخ .

فتابعت :

. سيطردها .

وزعق روبرتو :

. أخرجني من هنا !

وأصبح فجأة كالثور الهائج , تحت رقبتة
بعضلات الغضب ,

وانتفخت أوداجه , واحمرت عيناه .

فخرجت ماريا رافعة رأسها , ثم

قالت وهي تغلق الباب :

. إذا ذهبت , فستندم .

وما إن أقفل الباب حتى احتجت جيني :

. لا يمكنك طردها , روبرتو , كن متعقلاً !

تناول جريدته من جديد , وهزها , ثم بدأ

القراءة . فقالت جيني

بتعقل :

. السبب الوحيد الذي جعلهم يسمحون لك

بالجيء إلى هنا

هو اصطحابك لمرضة . فلم تبعتها ؟ وما

الفارق لو بقيت ؟

. إنها مزعجة !

. ولماذا ؟ لأنها تجعلك ترتاح . أوه روبرتو .

لا تكن أحمقاً !

. لأنها طالما هي هنا , لن تبقي معي أنت

طوال الليل .

ارتجفت بشدة لهذا . . . ولم تستطع إجابته

, فأخفض

الصحيفة , وفي عينه تجهم وسخرية :

. هل ستفعلين ؟

فاحمر وجهها وأشاحت بنظرها عنه :

. هذا ليس بعذر . . .

. إنه عذر كاف لي . أريد أن أراك معي عندما

أستيقظ .

وأحست بالنار تسري في جسدها . ففي

كلامه حنان ورقة ,

وإحساس مختلف عن الرغبة المتوحشة التي

كان يظهرها لها , كان

فيه شيء من حلاوة المزاح الذي كان بينهما

قديماً . . . وسألته :

. ومتى ستذهب ؟

. اليوم .

. بالقارب ؟

فنظر إليها بقلق :

. بالطائرة . . . ولكن إياك والتخطيط لتسلل

فيها حبيتي . . .

فأنت ستبقين هنا . . . أريدك معي طوال

الوقت إلى أن تطلع

الطائرة . وأتأكد أنك لم تحتالي للدخول إليها

.

وسألته مقطبة :

. ولكن إذا لم تكن قد تعافيت تماماً فكيف لي

أن أعرف ؟ لا

يعجبني هذا روبرتو . . أرجوك . على الأقل

دعها هنا عدة أيام .

. لا . . . إنها تتدخل في حياتي كثيراً , وعلى
كل لن نحتاجها ,
فأمي قادمة .
. إيفا ! . . متى ؟
. اليوم . . أيسعدك هذا ؟
. أنت تعرف أنني أحب أمك .
فابتسم وأصبحت عيناه لطيفتان تذكرانها
بعيني أمه المليئتان
بالدفء .

. أجل أعرف أنك تحبينها . وهذا ما كان

يسعدني دوماً . وهي

تحبك , أكثر مما تحب أنا على ما أظن .

فأختي وأمي لم تتفقا

يوماً . فأنا تحب أن ترمي بثقلها أينما كان .

. و أمي أرق من أن

تحتمل هذا .

فقطبت جيني :

. أنا لم تحبني يوماً .

. لا .

. كانت تكرهني لأنني .

. لأنك زوجتي . أعرف هذا . كانت دائماً

تغار مني ونحن

صغار . كانت تتمنى لو تكون صبياً , الابن

الوحيد للعائلة . فيها

تعطش كبير للسلطة والتملك , وزوجها

المسكين مضطر للتحمل .

ولكنني لا أنوي مطلقاً السماح لها بالتدخل

في حياتي .

وتنهدت مرتجفة :

. والدك كان يكرهني أيضاً .

صمت للحظات , ثم قال :

. أجل . . . كان يكرهك , وأنا آسف يا

حبيبي , ماذا أستطيع

أن أقول ؟ لم يكن يثق بك لأنك غريبة .

. كان يفضل جيسكا .

فرد بيروود : ((أجل)) .

. وفي النهاية فعلت أنت مثله .

فسارع يلف خصرها بذراعه , ويقول متأثراً :

. لا . .

فقلت مرتابة :

. وماذا تعني بلا ؟ ما هو السبب إذن ؟

فصمت , وبدأت الحيرة والارتباك في تعابير

وجهه . . . وتردد

مع أنه يرغب في الكلام . . . والتوى فمه .

. فهمست :

. لا تتلاعب روبرتو .

وتخلصت منه بشراسة وركضت خارج

الغرفة , أحضرت

ستركها وخرجت من الفيلا لتسير فوق

الصخور عند الشاطئ .

واستدارت مرة نحو الفيلا لتجد صورته من

وراء الزجاج . . كان

ينظر إليها , يقرأ غضبها من تحركات جسدها

, وأحست بتزايد

غضبها لشدة شفافيتها .

لم يعتذر , لم يشرح , حتى ولا أبدى ندمه

عن أي شيء . لقد

استردها , وهي رمت بكل كبريائها أدرج
الرياح عندما همست له
أنها تحبه . . ولا بد أنه راضٍ عن نفسه الآن .
لقد انتصر . . ولكن
ألا ينتصر دوماً ؟

أول غلطة ارتكبتها كانت ذهابها إلى
المستشفى . . كان يجب
أن تقول لا إذا إنها آسفة ولن تستطيع
الذهاب . . ففي ذهابها إليه ,

اعترفت بضعفها نحوه , ولقد تمسك بهذا

الضعف . وعرف كيف

يستغل الموقف , وتركها توقع بنفسها بعد أن

أعد فخه . ولو أنها

حقاً كانت تكرهه لما ذهبت إليه , لما خلعت

خاتم غرانت لتستعيد

خاتمه . لما قبلته , لما سمحت له بمناداتها

حبيبي . . . أجل هي

من سهلت الأمور له . . . وهذا اعتراف

مريـر .

كان عليها العودة إلى الفيلا أخيراً . . فأين
لها أن تذهب ؟

والتقاها روبرتو عند الباب , يتفرس وجهها
ويقرأ بسهولة كل ما
دار في رأسها من أفكار , وقال لها :
. تبدين كالأموات .

فرفعت رأسها الأشقر بمرارة , وعيناها
قاسيتان شديدتا التألق :
. شكراً لك .

أحست بنفسها كالجيش المهزوم , المتقهقر

دون أمل , يواجه

المنتصر القاهر . . يكره نفسه وهو من غير

دفاع .

. أنت بحاجة إلى شراب ساخن يعيد لك قواك

.

. هذا تصريح مقصود لإظهار ضعفي .

وابتسمت . . دخلا إلى غرفة الجلوس حيث

كانت ماريا قد

حضرت إبريق شاي ساخن . . تناولت
فنجاناً , شعرت بالدفء بعده
وعاد اللون إلى وجهها , ولكنها استمرت في
شعورها بعار الهزيمة .
ولاحظ روبرتو هذا متجهماً .
بعد الغداء , جلسا معاً يستمعان إلى
الموسيقى . . . وأحست
جيني بنعاس غريب , فتكورت إلى جانبه
كالقطة . رأسها مشدود

إلى صدره بيده . . . ولطالما كان هذا ملاذاً
لا يخيب بالنسبة لها .

عندما استيقظت , لم تجد روبرتو قربها فقد
وقع رأسها بكل

لطف فوق الوسائد , والغرفة معتمة بنور بعد
الظهر المتأخر . وفجأة

سمعت صوت الطائرة من بعيد , فنهضت
بسرعة , ومن النافذة

أخذت تراقب الطائرة تدور في دوائر فوق
الجزيرة قبل أن ترتفع

وتختفي في السماء الزرقاء . إذن لقد رحلت

الممرضة , وستكون

إيفا هنا بعد لحظات .

وخرجت إلى الردهة , وفتح الباب الخارجي

وتناهى إليها

صوت روبرتو يتحدث الإيطالية بسرعة , وفي

نفس اللحظة دخلت

إيفا . صغيرة , مرتبة , قلقة العينين ,

ولرؤيتها جيني ابتسمت فوراً ,

ومدت ذراعها :

. يا عزيزتي ! هل اندهشت لرؤيتي ؟ أنا

المندهشة لوجودي هنا .

ولكن روبرتو اتخذ هذا القرار السريع . . .

كانت رحلة متعبة . .

مررنا بعاصفة كهربائية فوق المحيط . وأخذنا

نعلو ونهبط ككرة

مضرب . ولكن أندرو تمتع بكل لحظة من

الرحلة , لقد ظن أنهم

يفعلون هذا لأجله . . .

اختفى صوتها عندما شحب وجه جيني ,

وضغطت بيدها على

قلبها وكأنها تتألم . . ثم همست :

. ألم تكوني على علم . أوه . . . جيني !

دخل روبرتو من الباب , والصبي على كتفه

, يضحكان . عينا

الصبي كعينا أبيه , ويداه تداعبان شعره .

ونظرت جيني إلى وجه روبرتو بوحشية :

. لعنة الله عليك !

ثم استدارت وركضت تصعد السلم ,

وأقفلت باب غرفتها .

وجاء إليها فيما بعد ليقرع الباب , ولكنها لم

ترد . كانت مستلقية

في فراشها ترتجف . يدها فوق فمها والغرفة

ظلاماً . وصاح

بها آمراً بحدة :

. افتحي الباب !

في مكان ما من المنزل سمعت ضحكة الصبي

, بابتهاج على

طريقة الأطفال . وكأنما أحد يركزه ,

وعضت جيني أصابعها

محدقة في الظلمة . . . وسمعت روبرتو يطلق

تهديداً فارغاً :

. هل أكرس الباب ؟ أنت تتصرفين كالأطفال

وحق الله !

فردت بصوت عميق أجش :

. اذهب من هنا .

ومرت لحظات صمت , وكأنما رنة صوتها

أذهلته , ثم تكلم

بلهجة مختلفة , لطيفة , متملقة :

. كان يجب علي إخبارك . . . أعلم . كانت

صدمة لك . وأعلم

هذا أيضاً ولكنني كنت أخشى أنك لو

عرفت لحاولت الهرب في

الطائرة .

وردت عليه بنفس اللهجة :

. كذاب ! ما كنت لتسمح لي بالاقتراب منها

وصدر صوته من بين شقي الباب , وبصوت

ناعم :

. افتحي الباب . . . من السخف أن

نتحدث معاً عبر باب

موصد . أتريدين أن يسمعنا من في المنزل ؟

. لست أهتم . . . فليسمعوا . . . ولماذا آبه

للأمر ؟

. سيزعج هذا أُمي .

. أملك ؟ إنها تعرف حقيقة شعوري تجاه الصبي

. هل قلت لها

إنني أصبحت الآن عشيقتك لا زوجتك, أم

لا لزوم لأن تعرف ؟

هذا ما كنت تريده منذ البداية يا روبرتو . .

أليس كذلك ؟ أنا لم أكن

يوماً بمستوى أن أكون من آل باستينو . . .

ولكنك أغويتني أصلاً

دون زواج مني لو استطعت . . . ولكن لدي

أب يهتم بما يحصل

لي . وكان يحميني أكثر مما كنت تتصور فلم

تجرؤ على نيل ما

تریده دون زواج . وکان یناسبک أكثر لو أن
لا أب لی .

كانت تصیح , صوتها شخن , مليء بالألم
والغضب . . فتمتم

بصوت منخفض بالكاد سمعته :

. لا تقولي هذا .

. لا أقول الحقيقة ؟ لماذا جئت بي إلى هنا إذن
؟ هل أحسست

بحاجتك إلي ثانية ؟ صحيح روبرتو ؟ وهذه
المرّة لست مضطراً

لسخافة الزواج . . ما عليك سوى أن تمد
يدك وتأخذني . . .

وتوقفت كلماتها الغاضبة , الشرسة , المريرة ,
وسط اختناقها

بالدموع . ودفنت وجهها بين يديها .

وضرب بقبضتيه على الباب فاهتز :

. افتحي الباب !

ولم ترفع رأسها . . . بل همست بخشونة :

. اذهب إلى الجحيم !

ساد الصمت , وعرفت أنه ابتعد . وبقيت

مستلقة كما هي

والعتمة تزداد كثافة . وتوقفت ضحكات

الصبي . . وتساءلت ماذا

يفعل روبرتو الآن . وعلمت أنها تتصرف

بغباء , ولكنها لم تكن

تستطيع منع نفسها . . . ما كان يجب أن

يأتي بالصبي إلى هنا .

لم يكن غضبها بسبب أن الصبي هو ابن

جيسكا بقدر ما كان

يفضبها أكثر شدة شبهه بأبيه . ووجوده الآن

هنا يجعل ما يجري

بينها وبين روبرتو مخزٍ . إنها علاقة ليس لها

مكان في حياته

أندرو هو ابنه . . . باستينو . . . وهي مجرد

عشيقة لروبرتو . إحدى

نسائه يستغلها مثلهن . . ومع الوقت ما من

شك أنه سيصرفها كما

كان يصرفهن . وسينظر إليها أندرو ليوازيها

بالأخريات اللواتي مررن

في حياة أبيه . وهذا ما تجده لا يحتمل .

وسمعت صوت روبرتو فجأة يصرخ :

. بعد نصف دقيقة سأطلق النار على هذا

القفل اللعين .

فجلست محفلة في فراشها . . لا يمكن أن

يعني ما يقول . . .

ولكنه يعني بالطبع . فلديه مجموعة جميلة من

الأسلحة في مكتبته ,

ويعرف كيف يستخدمها جميعاً . إنه رام من

الطراز الأول .

منتحبة . . تقدمت لفتح الباب , فدخل
كالعاصفة والمسدس
في يده , وفي عينيه الخطر , وقال متمماً :
. أيتها الحمقاء الحفيرة !
رمى المسدس إلى الطاولة , وأمسك بوجهها
بيد وأضاء النور
بالأخرى . فأحست بالدوار يغشى بصرها .
. . وشاهد روبرتو
الدموع على وجهها وآثار الألم . وقالت
هامسة :

. ما كان يجب أن تأتي به إلى هنا .

. وهل أسألك السماح له بالجيء ؟ وكيف

يمكن أن يكون

ردك ؟ كنت ستصرين على الرحيل . أليس

كذلك ؟ اعترفي ؟

. كما سأصر الآن !

وأسمك بكتفيها :

. لن أتركك تذهبين أبداً . أنت لي .

. لقد قلت هذا لوالدي . . وتطلقنا . . ولم

تقترب مني لخمس

سنوات .

. لأنني كنت أعتقد أنك تنامين مع كراولي .
وصدقته . . فعمق الغيرة في صوته كان مقنعاً
. وأكمل :

. كنت أريد قتله . . وقتلك , ولكنك
اختفيت , ثم قيل لي إنك
تطلبين الطلاق مني رسمياً . . ولو كنت
وجدتك لسببت لك إصابة .
عندها كنت سأتركك .

. ألا زلت تعتقد أن علاقتك بجيسكا غير

مهمة ؟ كل ما عندك

هو الاتهام , لا تدافع عن نفسك أبداً . .

ترفض أن ترى أي خطأ

فيما فعلته . . . أليس كذلك روبرتو ؟ كل

ما يهملك من الأمر أن أحد

ممتلكاتك قد شرد منك ؟

إحدى يديه , تسلفت إلى شعرها , وأخذت

تلف خصلات منه

حول أصابعه . . . وقال :

. ولكنه لم يشرد مني ثانية . . . لقد استعدتك

, وسأحتفظ

بك .

. وهل تظن حقاً أنني سأرضى بأن أكون في

منزلة العشيقة في

نظر ابن جيسكا ؟

تأوه طويلاً :

. آه . . هذا هو الأمر إذن .

. لن أقبل بهذا مطلقاً .

ورد ببرود :

. ولنفترض أننا متزوجان ؟ فما الفارق ؟

وشهقت بأنفاسها , وصمتت للحظات , ثم

ردت بخشونة :

. لم تذكر الزواج من قبل .

فالتوت شفتاه :

. لم يبدُ لي مهماً .

. أتصور هذا . فكل ما كان في بالك أن

تحصل علي . أليس

كذلك ؟

وانحنى نحوها مبتسماً .

. لا شيء غيره . . . ولأسابيع بعد

استردادى لذاكرتى . يا

حبيبتي !

. خنزير !

. وما كان رأيك بما حدث ؟ صدقاً الآن ؟

. كنت أود لو أرميك في الزيت المغلي .

. ولكنها كانت تكذب وكلاهما يعرفان هذا .

. فكري الآن . . لو تزوجنا, فهل ستقبلين

بأندرو كابن لي ؟

. أجل . . سأقبل به . ولكنني لن أتزوجك

روبرتو , في مطلق

الأحوال . فأنا لا أثق بك . فهناك الكثير من

النساء في حياتك ولن

أمر ثانية في تجربة رؤية امرأة أخرى في فراشي

يوماً من الأيام .

. لن يحصل هذا .

. تقول هذا الآن , ولكنك سرعان ما تغير

رأيك . صدقتك فيما

مضى . . . وكنت صغيرة وحمقاء . . . ولطالما

حذرنى والدي

و غرانت . . .

فاحمرت عيناه :

. لا تذكرى اسم كراوى أمامى . . . وإلا لن

أكون مسؤولاً عما

سيحصل !

. أنت لم تحب غرانت يوماً !

فضحك ضحكة غاضبة وقال :

. أكره رؤيته ويكره رؤيتي . وكلانا يعرف لماذا

.

وردت بهدوء .

. لطالما كان طيباً معي .

. بالطبع . . فهو رجل صبور . يعرف ما يريد

, ومستعد للانتظار

على أمل الحصول عليه .

. أظنك تسيء الحكم عليه .

. لا . . . بل أنت من أسأت الحكم عليه . .

. ولكنك لن

تتزوجيه . . . وستركيني أعيد له خاتمة

بنفسي , لأضعه في حلقه .

. لا تتكلم هكذا ! أنت لا تنصف غرانت !

مهما كان شعورك

نحوه فهو من ألطف الرجال الذين عرفتهم .

. ولكنه أساء إلينا كثيراً . . ولا ندين له

بشيء . . صدقيني .

أحست بالحرارة تؤلم خديها :

. ولكنه فعل هذا لأجلي . . . كان يحاول

إنقاذ ماء وجهي . .

إنقاذ كبريائي . . وأظنه كان يحاول إيهاملك

بأنني لا أهتم بما

فعلت .

. وهل تؤمنين بهذا حقاً ؟ لقد فعل هذا لأجل

نفسه ! لقد شاهد

أمامه فرصة وتمسك بها , فرصة تفريقنا

والفوز بك لنفسه .

. كنا سنفترق على كل الأحوال بعد الذي

رأيتَه !

فهز رأسه ببرود وقال :

. لا جيني . . . فما رأيته لم يفرقنا . . بل
كراولي هو الذي
فعل.

وأحست باليأس . . إلا يمكن له أن يرى
الحقيقة ؟ ألا يمكن له
أن يفهم ؟ أكان أعمى لهذه الدرجة تجاه
خيانتة لها ؟ أيمن أن
يعتقد حقاً بأنها كانت ستتجاهل خيانتة ؟

. نحن نتكلم بلغتين مختلفتين . . . لن أستطيع

تقبل أن للرجل

الحق في الخيانة الزوجية . . ربما فتاة من

بلادك قد تهز كتفيها دون

اكتراث لشيء كهذا . ولكنني أنا لن أستطيع

. ويجب أن تفهم هذا .

أنا لا أتحدث عن الأخلاقيات أو القوانين . .

. أنا أتحدث عن

الحب .

وتسللت يده بنعومة من ذراعيها إلى عنقها :

. الحب .

فجذبت نفسها منه :

. لا تفعل هذا ! . . . بإمكانك إجباري على

التجاوب . . .

ولا أستطيع الإنكار . . ولكنني لا أتكلم

على التجاوب الجسدي . أنا

أتكلم على الثقة , والصدق , ولا أستطيع

أن أثق بك في كليهما ,

روبرتو . أتظن أنني أريد زواجاً أكون خلاله

مختارة دوماً , أتساءل

في أي فراش أنت ؟ أي نوع من الحياة هذه ؟

سأجن في وقت قصير

وهو كتفيه :

. حسناً . . أصلحي وجهك . مشطي

شعرك . وانزلي إلى

الطابق الأرضي قبل أن تظن إيفا ولويس أنني
أقتلك .

. لويس ؟ وماذا يفعل هنا ؟ لماذا جاء بحق

الشیطان ؟ لا تقل لي

كذلك إن أختك آنا هنا ؟ وكذلك جوليان .

. هل جاءت كل عائلتك

اللعينة ؟ ماذا جرى ؟ هل هو تجمع قبيلة بني

باستينو ؟

فتحرك نحو الباب , ونظر إليها من فوق

كتفه :

. لقد طلبت من لويس أن يأتي .

ولسبب ما , أحست بلسعة قاسية لم تفهم

سببها .

. لم تكن حكيماً في قرارك هذا , روبرتو .

فهو سيتساءل

بفضول . . . فلطالما كان معجباً بي .

فنظر إليها بحدة :

. إنه يعبث مع كل أنثى يلتقي بها يا عزيزتي .

. . فلقد ولد وهو

منتهز للفرص .

. ألم تندهش لسماحك أنه غازلني ؟

فابتسم :

. سآدهش أكر لو سمعت أنه لم يفعل . أنت

جميلة , ولم

يفتني أبداً إعجابه بك .

وغضبت جيني للهفته , وقالت :

. ولكنك كنت واثقاً جداً مني . . . أليس

كذلك روبرتو ؟

فابتسم ابتسامة غريبة وقال :

. أنا أثق بك عزيزتي .

وترك الغرفة . . . تاركاً إياها ترتجف من

جاء رده .

نهاية الفصل ((الثامن)) . . .

9 . كذبة واحدة تكفي

أخذت جيني وقتها لتستعد , وهي تشعر
بالحرج لما حدث في
الساعة التي مرت , لهذا لم تكن متلهفة
لمواجهة إيفا ولويس .

أمضت نصف ساعة قبل أن تترك غرفتها . .
. وسارت ببطء تنزل

درجات السلم ووقفت في الردهة تصغي إلى
المهمة الخافتة

المنبعثة من الصالون . . . وكان سهلاً عليها
أن تميز صوت لويس

العميق البطيء . وكانت إيفا تضحك بنعومة
, وتقول ((كم هذا

سخيف)) عندما فتحت جيني الباب لتقف
متحدية الجميع , رأسها

مرتفع بكبرياء , وعيناها تبرقان .

قالت إيفا بهدوء وكأن شيئاً لم يكن :

. ها أنت يا عزيزتي ! تعالي واجلسي قربي .

نظرت جيني حولها , فلم تجد أندرو .

وفهمت إيفا تلك

النظرة . . . فقالت بصوت هادئ :

. أندرو نائم .

. آه . . فهمت .

وقطعت الغرفة شاعرة بوقع نظرات روبرتو

عليها , تتجول من

صدرها المرتفع تحت الفستان الحريري حتى
ساقها الطويلتين
الناعمتين تحته . وجلست تضع ساقاً فوق
ساق . . . والتفت إلى
لويس , الذي كان يركز بنظرة إعجاب عليها
كذلك . . . فابتسمت له
جيني بإغراء :
. مرحباً لويس . . . ما الذي دفعك لترك
النوادي الليلية في
نيويورك ؟

فرد مبتسماً :

. روبرتو . . ومن غيره ؟

. ومن غيره !

وسألها لويس وهو يقف :

. ماذا ستشربين ؟

. شراب الكرز مع الصودا .

فصب الكأس لها بينما راحت عيناه تتجولان

على جسدها وهو

يقدمه لها وقال لها بصوت كمواء القط :

. لقد أصبحت أجمل من آخر مرة رأيتك فيها

.

فنظرت إليه متفحصة , ورموشها ترتعش

متعمدة , فهي تعلم أن

روبرتو ينظر إليهما .

. شكراً لك لويس .

فسألتها إيفا بسرعة , والقلق في صوتها :

. هل كنت ترسمين وأنت هنا ؟

فاستدارت جيني إليها مبتسمة :

. لقد رسمت بعض الرسوم . . ولكنني وجدت

نفسي أرغب في

رسم لوحة لهذه المناظر . عندما أعود إلى

منزلي سأرسم لوحة

كبيرة تمثل منظر الأرض هنا ولدي عشرات

الأفكار الأخرى .

ونظر لويس إلى ابن عمه , وسألها :

. وهل ستعودين قريباً ؟

قال روبرتو دون تردد , وهي يتكئ إلى ظهر

كرسيه والكأس

في يده :

. لا !

ولم تنظر إليه جيني , بل تجاهلته وردت إلى

لويس :

. بأسرع وقت ممكن . يجب أن أعود إلى

عملي . . . فلقد

ضيعت الوقت الكثير هنا .

فعلق لويس :

. أنت تكتسبين شهرة في عالم الأزياء . . ولا

بد أن هذا

يكسبك المال الآن . . لقد قرأت مقالة عنك
في مجلة أميركية .

فقلت مبتسمة بخبت :

. أجل . . فقد أراني غرانت المقال .

فابتسم لويس ابتسامة غريبة . . وطافت

عيناه فيها بطريقة لم

تعجبها , ثم تتم بنعومة :

. آه . . خطيبك ! أعلم بأنك هنا . . على

فكرة ؟

أحست جيني بالحرارة في كل جسدها ,

ولكنها أجابت

بصراحة :

. أجل . . . يعرف .

ونظرت إلى لويس متحدية , تتحداه أن يقول

كلمة أخرى حول

الأمر . ولكنه قال :

. لديه أفكار متحررة , لو كنت لي , أظن

أنني سأكون أكثر

تملكاً .

فصاح روبرتو من بين أسنانه :

. هذا يكفي !

فكشر لويس بابتسامة له :

. هيا . . روبرتو . . لم تعد زوجتك , وهي

حرة في اختيار من

تريد . برضى كراولي أم بغير رضاه .

وصمت روبرتو لكن وجهه بقي متجهماً

وعيناه تلمعان من شدة

الغضب . ثم قال للويس بحدة :

. أتريدني أن أقتلك ؟

واختفت البسمة عن وجه لويس :

. ألم تكتف منها بعد ؟ لقد حصلت عليها

لمدة أسبوع . وأظن

هذا سبب مجيئك بي إلى هنا . . . كي آخذها

منك , ولن تكون

المرّة الأولى التي ترمي فيها إحدى نسائك

علي للتخلص منها .

أليس كذلك .

أحست جيني بالإذلال يحرق وجهها . . .
وقفزت على قدميها ,
فأمسك روبرتو بمعصمها , ليعيدها إلى
كرسيها وكأنها طفلة :
. ابقني هنا .

وأطلقت في وجهه غضبها الحارق :
. وأستمع إليه ؟ ماذا تحاول أن تفعل معي
روبرتو ؟ أهذا هو
سبب وجوده هنا ؟ هل ستسلمني إليه كلعبة
تعبت منها ؟

وقال لويس , والبريق في عينيه جعلها تحس
بالغثيان :

. لعبة جميلة جداً . قد لا تجدين هذا التبادل
سيئاً جيني . وقد
أفاجئك .

وأخذ يتفحصها , والاحمرار يتصاعد من
عنقها ليشعل وجهها .
ووقف روبرتو باسترخاء . ولكن لم يكن في
وجهه أي شيء يدل

على الاسترخاء . تراجع لويس فجأة وقد
امتلاً وجهه بالرعب . .

وأطبقت يدا روبرتو على عنقه . . . وقام

لويس دون جدوى , يلعن

ويسعل , يداه لا تستطيعان زحزحة قبضة

روبرتو عن عنقه , ثم طار

فجأة ليقع فوق الكرسي , وأخذ يشهق

محاولاً التنفس , وجهه شديد

الاحمرار . . . وهو مستلقٍ في مكانه يتلمس

عنقه بخوف .

حدق روبرتو به متجهماً ثم تتم :

. أنت محظوظ لتركي إياك تتنفس . وما تركتك

تتمادی معها إلا

لكي تعرف أي نوع من الخنازير أنت .

والتفت إليها :

. لقد تركته يظن أن بإمكانه معاملتك كما

اتفق , كي تعرفي

حقيقته , وأنا آسف لأنه آلمك , جيني . لم

يكن سهلاً علي

الاستماع إلى قذارته . صدقيني .

ومالت إيفا إلى الأمام ولمست ذراع جيني

بكل لطف :

. أريد أن أخبرك قصة .

فتمتت جيني :

. لا أود سماع شيء . . .

فقال روبرتو :

. يجب أن تسمعي . لقد جئت بهما إلى هنا

كي تستمعي . فلو

أخبرتكَ أنا , لما صدقتني . . . استمعي

لأمي جيني .

فردت بغضب :

. لقد ثبت لي أنها قد تكذب إذا أردت أنت

منها هذا .

. ولكنها لن تكذب هذه المرة .

. وكيف أعرف ؟ لن أصدق كلمة تقولها بعد

الآن .

فحدق بها ثم التفت إلى لويس وقال لها :

. راقبي وجهه وهي تتحدث . . . وستصدقين

.

ونظرت إلى لويس لتشاهد الصدمة في وجهه

, وكان ينظر إلى

ابن عمه , قسماته خائفة , مضطربة , يعلو

وجنتيه الاحمرار .

وجلست جيني ببطء . . . نظرت نحو إيفا :

. حسناً ؟

فقالت إيفا :

. لست بحاجة لأقول لك , إن زوجي وقبل

أن يلتقي بك روبرتو

بزمن طويل كان يحاول إجباره على الزواج من
جيسكا . . . لقد كان
لا يستسيغ فكرة أن لا يتزوج ولده من
إيطالية . ولم يكن يحب
فكرة استقلالية ابنه عنه . ولطالما أراد فرض
إرادته على روبرتو ,
ولكن لروبرتو إرادة من فولاذ . فهو أصلب
من أبيه , ولا ينحني أبداً
أمام أي كان . ولطالما تشاجرا بمرارة . . .
وكان أنطونيو لا يخفي

الأمر عن أحد , وجيسكا كانت تعلم بأنه

اختارها زوجة لروبرتو . . .

ولسوء الحظ كانت تواقّة بشكل غريب

للحصول على ما تريد .

وتكلم لويس , وعنقه يؤلمه من قبضة ابن

عمه :

. لقد كانت ال***** الصغيرة مفتونة به .

فسأله روبرتو بصوت غريب :

. وهذا ما أزعجك . . . أليس كذلك ؟

. لقد كنت أشعر بالسقم عندما أشاهدها

تتودد إليك , وكأنك

نوع من الآلهة , وأنت لا تأبه لها . . كان

عليك أن تكون شهماً

أكثر .

. كما كنت أنت ؟ !

. لقد تركتك تدوس عليها , ظنت بأنك

ستزوجها في النهاية

حتى وهي تعلم بأنك تكرهها وعندما تزوجت

جيني . . . شعرت

بالإحباط , وبدت كالحمقاء . وكنت قد

حذرتها فلم تستمع إلي .

فتمتم روبرتو بنعومة :

. ولكنك كنت مستعداً لمواساتها ؟

فاحمر وجه لويس بعمق . ولم يرد , بل حذق

بابن عمه الذي

تابع قائلاً :

. لقد لاحقتها دون هوادة . وأمطرتها

بالغزل الذي وجدته في

النهاية لا يقاوم . . . كم استغرق ذلك لويس
؟ ستة أشهر ؟ تسعة ؟ لم
تكن سهلة المنال , أليس كذلك ؟ كان
عليك أن تعمل جاهداً لتحقيق
أهدافك .
فشخر لويس , وقد تصاعد غضبه :
. لا تزُهِ بنفسك ! لقد كانت ناضجة للقطاف
بعد أن أذلتها
بالزواج من أخرى . وهكذا وقعت في يدي
كالتين الناضج .

وحدقت به جيني وذهنها يعمل بسرعة . .

إذن كان لجيسكا

علاقة غرامية بلويس ؟ ولم يدهشها هذا .

ولكنها لم تدر ما علاقة

هذا بما حصل فيما بعد وقال روبرتو بلهجة

بارة كالجليد .

. أهكذا ستقص الأمر على زوجتك ؟

فشهق لويس بحدة وارتباك , وتلاشى كل لون

من وجهه وحدث

بروبرتو بعينين مشدوهتين :

. لا يمكنك ! لا يمكنك إخبارها ! سيقتلها

هذا !

. كان عليك أن تفكر بهذا قبل الآن .

ونظر لويس إلى إيفا , متوسلاً :

. إيفا . . . أنت تعرفين ما قد يفعل هذا بها !

لا يمكنك تركه

يخبرها . لن تتحمل الصدمة !

وبرز الحزن والمرارة على وجه إيفا :

. المسكينة ! إنها تستحق أفضل من وغد

مثلك .

. لأجل الله ! . . أنا رجل طبيعي , وهذا كل
شيء . أتظنين أنه
من السهل العيش مع امرأة أحبها ولا
أستطيع لمسها ؟ أعلم إنني
كنت أعرف هذا الواقع منذ البداية . ولكنني
أحببتها كثيراً , وأرادتها
زوجة لي , مع إنني أعرف أن حالة قلبها
تهدد بموتها في أيه
لحظة . . وكانت تعرف أن لي علاقات ,
وتتجاهلها . . ولكن

جيسكا ؟ . . . لن تسامحني على هذا . . .
سيقتلها الخبر .

خلال خمس سنوات , كانت جيني قد نسيت
كل هذا , ولكنها

تذكرت الآن وارتعدت . كانت قد قابلت
زوجته مرة واحدة . كانت

تمضي أوقاتها كلها في الفراش لمرض مزمن في
قلبها . وتذكرت

جيني كذلك أن جيسكا كانت . . . شقيقتها

.

كانت إيفا تنظر الآن إلى لويس بكل احتقار
، وهزت كتفها :

. كنت تعرف تماماً ما تفعله . . لقد أغويت

شقيقة زوجتك عن

قصد ولا تحاول الإنكار . . . فلقد كنت

تعرف أنها الخيانة التي لا

يمكن أن تغفرها لك .

ونظر إليها كالحیوان العالق في الفخ , وشفتاه

مكشرتان عن

أسنانه . . . وصاح :

. الكلام سهل عليك . لن تتمكني من معرفة

حقيقة الأمر

بالنسبة لي .

. صحيح ؟ ولكن زوجتك كانت تعرف ,

وتعرف إنك ضعيف

الإرادة على حياة التقشف . . . ولم

تتزوجك بسهولة لويس , لقد

ناقشت العائلة الأمر لفترة طويلة معها قبل

أن تعطيك الرد . وكانت

تعرف تماماً أنك تريد الزواج منها لأجل
حصتها من مال العائلة .

وصاح بألم ظاهر في صوته :

. لا ! إنها لا تعرف هذا . . . لا يمكن !

. لقد فكرت بكل شيء , وكانت كل القرائن

ضدك , ولكنها

كانت تحبك فقررت المخاطرة ومواجهة الألم

الذي كانت تعلم أنك

ستسببه لها , كما تحملت بكل شجاعة الألم

والخوف من حالتها

لسنوات .

وفجأة أحنى لويس وجهه بين يديه . وساد

الصمت في

الغرفة . . أشعل روبرتو سيكاراً , وأسند

رأسه على الكرسي يدخن .

ونظره مثبت على رأس ابن عمى المنحني .

وراقبته إيفا كذلك ,

وكأنهما نسيا وجود جيني . بعد دقائق ,

استوى لويس في جلسته ,

ووجهه شاحب وقال :

. أنا أحب زوجتي . . ولهذا كنت أريد . . .

بل كان يجب أن

أحصل . . . على جيسكا , لأنها تشبهها .

ولم تبدو الدهشة على إيفا لهذا الاعتراف .

بل هزت رأسها

وقالت :

. كانت جيسكا تعرف هذا . . لقد آلمتها .

ولم تحاول إخفاء

سبب رغبتك بها عنها . . أنت تقول إن

روبرتو هو من جرح

كرامتها . . . ولكنه على الأقل لم يستخدمها

كبديلة في الفراش عن

زوجته . . . شقيقتها .

فوقف عند النافذة :

. لماذا تفعّلان هذا ؟ لماذا تعيدان الذكرى

بعد خمس سنوات ؟

لماذا الانتظار خمس سنوات لتهديدي الآن

بالكشف عن الأمر ؟

نظر روبرتو إلى طرف سيكاره المشتعل . . .

وقال :

. أندرو .

فاستدار لويس بحدة وهو مقطب :

. ما شأنه ؟

ونظر روبرتو إلى جيني بسرعة , ثم إلى إيفا

بصمت , فسارع

لويس يسأل بقلق :

. حسناً ؟

فقالت إيفا ببرود :

. اجلس يا لويس .

. أوه . . . لأجل الله !

فصاح به روبرتو :

. اجلس !

فجلس ينتظر والغضب يملأ وجهه , فقالت

إيفا :

. إنه ابنك .

فحرق بها لويس بشراسة , ثم إلى روبرتو

بعينين ضيقتين :

. أوه . . لا . . أنتما تكذبان ! . أتظنان أنني

لم أسألها عن هذا ؟

يا إلهي . . . عندما أفكر . . .

وأدار وجهه الوسيم نحو جيني , وعلت وجهه
تكشيرة :

. آه . . . لقد فهمت . . . أنت تحاول تبرئة
نفسك أمامها . أليس
كذلك ؟

فقلت جيني بخشونة :

. لن أستمع إلى أي شيء من هذا بعد الآن .
. . . إيفا أقدر لك

ما تحاولين فعله , ولكن , لأجل السماء , لا
تكذبي حول ذلك

الصبي الصغير المسكين . لا أريده أن يتألم

إيفا . . . أي نوع من

الوحوش تظنني ؟

فقلت إيفا بهدوء :

. لدي الدليل .

وبدا أن لويس على وشك الاختناق . وسأل

بيأس :

. أي دليل ؟

فردت ببرود :

. اعتراف جيسكا وسأريك إياه بعد لحظات .
فأنا لم أخبر
جيني بقصتي بعد فالزم الهدوء لويس ,
لأكمل القصة .
والتفتت إلى جيني .
. ليلة تشاجرت مع روبرتو , وخرجت إلى
منزل أبيك . . .
حصل شجار حاد آخر بين روبرتو وأبيه . .
. وأصيب بألم حاد في

رأسه حتى إنه اضطر إلى ابتلاع أكثر من حبة
منوم . ووجدته في
مكتبه بعد منتصف الليل , فاستدعيت
خادمان ليحملانه إلى فراشه .
ولم نستطع إيقاظه وكانت جيسكا في المنزل
بالطبع . وخرجت من
غرفتها بملابس النوم لتعلق بشكل لاذع على
حالاته , والشجار
بينكما وكنت حادة معها فعادت
إلى غرفتها غاضبة .

وقاطعها روبرتو بصوت عميق :

. نمت كالميت طوال الليل . وعندما

استيقظت وجدتها في

فراشي .

فضحك لويس بخشونة :

. هنا تبدأ القصة الخرافية يا جيني .

ونظر إليه روبرتو بغضب :

. اقفل فمك أو أقفله لك !

وعاد إلى جيني :

. كان رأسي يضج كالطبول . . وأحسست
بالغثيان . . وآخر
شيء كنت أرغب فيه هو النساء . وخاصة
جيسكا . . يا إلهي
جيني . . . كان بإمكانني الحصول عليها في
أي وقت وبإشارة من
إصبعي .
وشاهد إجفائها فضحك :
. أعلم أن هذا كلام قاس . ولكن هذه هي
الحقيقة . لقد

عرضت جيسكا نفسها علي علي طبق من
فضة عشرات المرات .

ولكنني لم أكن أهتم بها وقلت لها يومها
أن تخرج من

غرفتي . . . فضحكت . ثم قالت بأنك
عدت ووجدتها في فراشي . .

كانت قدرت أنك قادمة من الخارج ,
فسارعت إلى غرفتنا واندست

في الفراش معي . . . يا إلهي ! تلك

ال***** ! كان يجب أن تري

وجهها وهي تخبرني بالأمر ! فنهضت من
الفراش لأرتدي ملابسني
وأسرع للبحث عنك . ولم أتوقع أن يقابلني
كراولي بتلك الكذبة .
كان محظوظاً أنني لم أقتله , ولكنه تمكن مع
والدك من طردني
خارج المنزل .
أكملت إيفا القصة بعد أن توقف :
. عاد إلي يومها بحالة مريضة , وصدمت بما
أخبرني به . .

ولكنني أصرّيت على رؤيتك بنفسي . . كنت
أعلم أنك ستخبريني
الحقيقة . . وطلبت من روبرتو أن يتركك
وشأنك إلى أن أراك .
وتعرفين ما حدث بعد ذلك اختفيت ,
ورفض والدك تمرير أي
رسالة لك . وقلت لوالدك الحقيقة حول ما
حدث بين روبرتو
و جيسكا . . ولكنه لم يصغ إلي .
وذهلت جيني :

. أخبرت والدي ؟ لم يقل لي كلمة عن الأمر

.

فرد روبرتو :

. لأنه لم يحيي قط . . . كلانا كان له أب

خلق المشاكل بيننا

بوجهات نظره ولأكن صريحاً , فإن والدك

كان يتوق لمنع زواجك

مني .

وأكملت إيفا بنعومة :

. للإِنصاف . . لم يصدق والدك قصتي . قال

إنها قصة لا يمكن

أن تصدق . وربما لم يخبرك لهذا السبب .

وقال روبرتو :

. كتبت لك . ولم تقرأي رسائلي , أليس

كذلك ؟ لم يكن سهلاً

علي تصديق أنك أحببت كراولي . . .

ولكنني كنت آمل أن يكون

ذلك للانتقام فقط . مجرد دواء ليشفي جراح

كرامتك . وحاولت

الوصول إليك فرفضت , ولم أستطع أن أجد
مكانك حتى تطلقنا .

ثم رأيت كراولي وقال لي بأنكما ستتزوجان .
غرانت قال لك هذا ؟

. قال إنك مغرمة به , وصدقته . . وتركته

وأنا أتمنى لو أستطيع

أن أحنقك بيدي .

. ولكنك تزوجت جيسكا .

. آه . . أجل . . . جيسكا . . لقد بدا

عليها حتى ذلك الوقت

بوضوح عوارض الحمل . وعندما أصر

والدي على معرفة والد

الطفل , قالت بأنه لي .

فصاح لويس :

. لقد كان ابنك . . . إنه يكذب جيني . . .

إنه أبوه . . صدقاً . .

لقد نام معها تلك الليلة .

فصرخت إيفا بحدة :

. لا ! بالطبع أصررت جيسكا على هذا .

وأنت أصررت على

وجوب زواج روبرتو منها حال أن يصبح حراً

.

وقال روبرتو :

. أما أنا فلقد كنت في مزاج لم يسمح لي

بالاهتمام بشيء . . .

ولكنني كنت أكره جيسكا لما فعلته لنا .

وقلت لها هذا . فهددت أن

تقول الحقيقة لأختها عنها وعن لويس إذا لم

أتزوجها . عندها

فهمت من هو والد الطفل وعندما أظهرت
لها معرفتي , اعترفت
بكل برود . . طبعاً ليس أمام والدي .
فشخر لويس :
. كم هذا مقنع .
فرد عليه روبرتو :
. ماعدا أنني كنت احتطت للأمر .
. وأي احتياط ؟
. سجلت لها كل كلمة قالتها .

وساد الصمت , وأحس لويس بالاختناق ,

ومرر أصابعه على

شفتيه وكأنهما جفتا . وأكمل روبرتو :

. وعندما علمت جيسكا أن لدي دليل على

كذبها على أبي ,

غيرت لهجتها . . وأصابت بالهستيريا ,

وهددت أن تجبر لويس على

الاعتراف بالطفل حتى ولو قتل هذا شقيقتها

.

وتنهدت إيفا .

. كانت تعني ما تقول . كانت تغار من

شقيقتها وكانت تعلم

أنك لم ترغب بها إلا لأنها تشبهها . . وأظنها

كانت تود أن تطلعها

على الأمر ورحبت بتلك الفرصة .

وقال روبرتو :

. لم أستطع تركها تفعل . كنت خسرت جيني

على أي حال .

وهكذا تزوجت جيسكا لإعطاء أندرو اسمي

. إنه دم آل باستينو في

كل الأحوال , وله حق بالاسم .

ووقف لويس ببطء :

. حتى ولو اعترفت جيسكا بهذا , فليس

هناك دليل على أنه

ابني .

فقال روبرتو بهدوء :

. عندما ولد , كان بحاجة إلى نقل دم فوري ,

وأنت تعرف

لماذا كما أعتقد يا لويس فئة دم ((أر إتش

((سلبي أليس كذلك ؟

. أجل .

. وفئة دم جيسكا ((أر إتش)) إيجابي ,

وهذا له علاقة بدم القربي

والطفل الذي يحمله لا يمكن أن يعيش إلا إذا

تغير دمه فوراً ,

وخلال دقائق من ولادته .

فتنفس لويس بعمق :

. يا إلهي !

. ولكن جيسكا لم تكن تعرف هذا , ولا

الأطباء , الذين كانوا

يعتقدون أنني والد الطفل . وأن فئة دمي

مماثلة لفئة دمها , وكانت

صدمة لهم عندما ولد الطفل بلون أزرق .

فقال لويس بصوت خفيف :

. إذن هو ابني . . . يا إلهي . . . ! إنه لي .

لماذا لم تخبرني من

قبل ؟ أنت تعرف أنني كنت أجهل هذا

الأمر .

فنظر إليه روبرتو ببرود :

. لم يكن لك الحق بأن تعرف . . . وحتى
الآن كنت تنكره .

. هذا لأنني لم أكن أعرف . ولو عرفت
لأسعدني هذا ! أنت

تعرف أن زوجتي لا يمكن لها أن تنجب ولداً
. والآن تقول لي أن

لدي ولد . وولد يحمل دم زوجتي ودمي .

فنظرت إليه إيفا بغضب وقالت ببرود :

. ولكنك لن تتمكن أبداً من المطالبة به . .

زوجتك يجب أن لا

تعرف .

بدا على لويس الدهول . . وأغمض عينيه

وهو يقول :

. لقد نسيت وهذا عقابي . . . إنه ابني . . .

ولن أستطيع

الاعتراف به .

وتوجه نحو الباب وقال ساخراً :

. إنها أرواح الانتقام . . دائماً تنتقم في آخر

المطاف .

بعد أن ذهب , وقفت إيفا لتسير نحو الباب
. . . تاركة روبرتو

يسند رأسه على ظهر كرسيه , يراقب جيني
متفحصاً .

* * *

نهاية الفصل ما قبل الأخير ((التاسع)) . .

.

10 . صوم السنين

بعد لحظات صمت مذهول . . سألت جيني

:

. لماذا لم تقل لي كل هذا منذ زمن ؟

فرد بصوت منخفض :

. ما كنت صدقتني , حتى ولو أصغيت إلي .

لا . . كان يجب

إحضار لويس وإيفا إلى هنا لأؤكد من

سماعك كل شيء .

ونظرت إليه عبر رموشها قائلة :

. يجب أن تعترف . . . تبدو القصة بعيدة عن

التصديق .

فضحك :

. والدي صدق جيسكا . وبالطبع كان يريد

أن يصدق . وكان

سعيداً لتطور الأمور بهذا الشكل .

وفكرت بـ جيسكا لأول مرة بتفهم وعطف :

. يا للفتاة المسكينة . . أصيبت بالأذى والألم

من كل الجهات .

منك ومن لويس , لا بد أنها يئست .

وأعطاها ابتسامة صغيرة ملتوية :

. ولو أنها تألمت , فقد استخدمت مخالبتها

لتنقم , فلا تقلقي ,

كانت مستعدة للذهاب إلى شقيقتها . وحتى

معرفتها بأنها يمكن أن

تقتلها لم تعن لها شيئاً , كانت مستعدة

لاستخدام كل الوسائل

المتاحة لها لتحصل على ما تريد . وكانت

مصممة على تحميلي ولد

لويس .

ونظرت إليه مقطبة :

. كنت أعتقد أنها تحبك .

فhez رأسه :

. لا تكوني عاطفية يا جيني . . جيسكا لم

تحب سوى جيسكا .

. وهل . . .

وأحجمت عن السؤال , وأخفضت عينيها

وقد احمر وجهها . .

فسألها بخبث وهو يتسم :

. هل . . ماذا ؟

فنظرت إليه بسرعة :

. تعرف ما كنت سأسأل .

. هل نمت معها ؟ ما رأيك . . حبيبي ؟

وشدت على أسنانها , تريد أن تضربه :

. وكيف لي أن أعرف ؟ كانت زوجتك لثلاث

سنوات .

. كانت تحمل اسمي لثلاث سنوات . ولم تنم

لحظة في

فراشي . . . مع حب أو بدون حب . لم

أكن أرغب بها ولم أدّع هذا

قط . . أوضحت منذ البداية أن زواجنا اسمي

فقط . حصلت على ما

أرادت . . . أصبحت زوجتي أمام الناس . .

. وعندما غرقت لم

أستطع الشعور بالأسى عليها .

. مسكينة جيسكا .

ونظرت إلى الساعة :

. لقد اقترب موعد العشاء .

فضحك :

. تغيرين الموضوع ؟ لماذا يا ترى ؟

فوقفت , ووقف معها . أمسك بذراعها

محدقاً في وجهها

المتجهم :

. ما الأمر الآن ! لقد صدقتني , أليس كذلك

. . . لم ألمس

جيسكا تلك الليلة . . أقسم لك .

. أصدقك . . . ومع ذلك .

. مع ذلك . . . ماذا ؟

. خمس سنوات . . . لماذا انتظرت خمس

سنوات لرؤيتي

ثانية ؟

. إنه كراولي . . . لقد صدقته , كنت أتصور

حالتك الذهنية ,

بعد رؤيتي مع جيسكا . . . وكنت أعرف أنه

ينتظر الفرصة . .

وعندما قال إنك استسلمت له . . صدقته

. . . أحسست بغيرة

قاتلة . . . ولكن حتى هذا كنت مستعداً

لغفرانه . ولو قابلتك

لأصلحت الأمور . ولكنك ابتعدت . ثم

انشغلت بمشاكل جيسكا

والطفل . وصدقت أنك فضلتني فقررت

أن أزيلك من تفكيري .

فقلت ببرود :

. هكذا بكل بساطة ؟

. لا . . لم يكن الأمر سهلاً . كنت أعتقد

أنك تنامين معه .

. ألم تستغرب عدم زواجي به ؟

. بلى . . ولكن كنت أتصور كراولي يحاول

إقناعك بالزواج

ويفشل .

. وماذا يؤكد لك أنه لم يكن هناك رجال غيره

؟

. ستقولين لي أنت هذا .

. وهل ستصدقني ؟

. أنا مضطر لتصديقك . . فأنا لن أتمكن من

تركك تبتعدين

عني ثانية .

. لقد أردت الابتعاد عنك , ولكنني لم أستطع

.

. لا تدعي رجلاً آخر يلمسك وإلا قتلتك

وقتلته . . أحبك . .

جيني قولي لي إنك تحبيني .

. لقد قلت لك .

. ولكنك كرهت ذلك الاعتراف .

فتنهدت :

. وهل تلومني ؟ كرهت نفسي لرغبتني بك

بالرغم من كل ما

حدث .

. والآن ؟

فمررت أصابعها فوق فمه , فأحست به

يرتجف للمستها .

فهمست :

. الآن ! . . أستطيع القول إنني أحبك دون

أي تحفظ .

فسألها :

. ومتى ستتزوجين مني ثانية ؟

. حين تريد .

فلامس شعرها بخفة :

. هناك شرط واحد .

فنظرت إليه بدهشة :

. شرط ؟

. أجل . . . كراولي . . أريده أن يتعد عنك

. . . وإلى الأبد .

لقد قام بما في وسعه لتفريقنا . . إنه يحبك

بقدر ما أحبك أنا . ولا

أريد أن يكون بقربك .

ووضعت يديها على كتفيه :

. وأنت روبرتو . . . لدي شرط عليك .

فرفع حاجبيه :

. أوه . . وما هو ؟

. ما من امرأة أخرى . . وإلا فلن أهرب في

المرّة القادمة إلى

منزل أبي . بل سأقتلك بأحد مسدساتك .

فضحك :

. لن يكون هناك أي تأكيد أنني لن أكون مع

امرأة أخرى سوى

أن لا تغادري فراشي مطلقاً .

وعانقها بشدة وأكمل :

. أريد أن استيقظ كل صباح لأجذك بقربي .

. . وهذا هو ما

جرفني إلى الجنون عندما شاهدت صورة

خطوبتك في الصحف

وأدركت إنك ستتزوجين كراولي .

. قل لي الحقيقة . . هل حدث الاصطدام

بسبب الصورة ؟

. الله يعلم . لا أذكر شيئاً . كنت أقود

سيارتي أفكر بك , ثم لم

أدر إلا وأنا في المستشفى .

. كانت خدعة ممتازة منك وكان على إيذا أن

تكون أذكرى من

أن تقع .

فابتسم :

. إنها تحبني وكنت لا زلت ضعيفاً , ولم

ترد أن تغضبني .

. أنت حقاً ماكر لا تطاق .

. وهذا ما أبقاني حياً . وتركت معلقة على

صنارتي . كنت

أراقبك تتلوين بين رغبة الهرب ورغبة البقاء .

. أكرهك .

. لا . . لن تستطيعي , لقد قاومت قدر

استطاعتك وراقبت

محاولاتك للخلاص . . . وكنت واثقاً أنني

لو أصبحت معك

لوجدنا . . لا استطعت . . .

. استطعت ماذا ؟

ولكنها كانت تعرف الجواب . رقصت عيناه

وهو يجيب :

. لاستطعت الانفراد بك .

ونظر إليها متسائلاً فقالت :

. أيها . .

وأخرس كلماتها الغاضبة بوضع يده فوق

فمها .

. ولكنني حصلت عليك . . . ألم أفعل ؟

. لم تحصل علي دون معركة في البداية .

فرفع حاجبيه سخرية .

. بل مجرد مناوشة بدائية , زادت من المتعة

بعد قبولك .

. أكرهك .

ولكنها كانت تضحك . . وجذبها إليه

وعانقها طويلاً . . بعد

فترة سألها :

. ماذا عن أندرو ؟ مع أنه ليس ابني فأنا أحبه

يا جيني ولطالما

عاملته على أنه ابني طوال حياته ولن أستطيع

التخلي عنه الآن .

. بالطبع لا . . لقد أصبح سهلاً علي أن

أحبه الآن . فلن تقف

الغيرة في الطريق .

واخذ يلف خصلة من شعرها حول إصبعه :

. أولادنا لن يعانون من شيء .

فاحمر وجهها .

. سنفكر بهذا عندما نصل إليه . . ولكني

أظن بأنك يجب أن

تسمح للويس برؤيته . . إنه بشر . وتلقى

صدمة فظيعة لمعرفته

أن أندرو ابنه .

. إنه يستحق هذه الصدمة . . ! لقد تصرف

بكل خبث حتى إنه

غازلك , وأمامي . فقد اعتقد أنني اضعف

من أن أمنعه . لقد كان

دائماً غيوراً خبيثاً قذراً . ولكن زوجته امرأة

رائعة , وبما أن أندرو

ابن أختها يمكنه البقاء معها معظم الأوقات .

فابتسمت جيني :

. فكرة رائعة .

دقة على الباب أجفلتهما معاً وأدخلت ماريا

رأسها ونظرت

إليهما ببرود وسألت بالإيطالية :

. ستناولان العشاء الليلة أم لا ؟

فرد عليها بنفس اللهجة :

. وماذا يجعلك تظنين أننا لن نتعشى ؟

فكشرت وجهها بطريقة ساخرة . . . فقال

روبرتو مبتسماً لها :

. نحن قادمان . فاذهبي من هنا واتركي لي

فرصة لأقبل

زوجتي .

فردت ماريا بحبث :

. إذا لم تكن قد فعلت هذا بعد فقد أضعت

نصف ساعة من

وقتك سدى .

. وخرجت من الغرفة وشفقت الباب وراءها .

. فقال روبرتو

متجهماً :

. لقد أضعت خمس سنوات سدى . .

وأمامي الكثير لأعوض

عنه .

و شد بیدیه علی جینی :

. ليس علينا الانتظار إلى يوم الزفاف , أليس

كذلك ؟

فسألته , وقد فتحت عينيها على اتساعهما

ببراءة لذيذة :

. ننتظر ماذا ؟

. يا لعينة . . نستطيع الزواج بعد أسبوع ,

ولكن الأسبوع وقت

طويل بالنسبة لي .

فقلت برزانه :

. الصيام جيد للروح .

. وهربت منه خارج الغرفة .

ونظرت إليهما ماريا :

. لقد أفسدتما العشاء . . . اعلما هذا .

. فابتسمت إيفا لجيني .

. لا تهتمي يا عزيزتي . . ماريا معتادة على

الضجيج .

ولم يكن هناك أثر للويس . جلسوا إلى المائدة

, يتبادلون

الحديث , ثم قالت إيفا :

. ستكون العائلة على أهبة الاستعداد ,

وسيسبب الزواج ضجة

في الصحافة .

فهر روبرتو كتفيه :

. ليس كثيراً . أظن أن الجميع عرف الآن أن

جيني معي . .

وسينشغل الناس بالحساب لما سيحدث .

فقالت جيني ,

. ليس بالضرورة , فسبب وجودي هنا سهل

التفسير .

. حقاً ؟

. أتعلم بماذا سيفكر الناس . . . لن يعرفوا

بالتأكيد أنني جئت

هنا لأتزوجك مرة أخرى .

فابتسم ساخراً :

. وخاصة بعد وقت قصير من إعلان

خطوبتك على رجل آخر .

لا بد أن هذا سيصب كراولي بصدمة .

فصاحت به بغيط :

. أوه . . اصمت . . مسكين غرانت !

. وهذا ما يذكرني . . أعطني خاتم خطوبته

لأعيده له مع

رسالة شرح مناسبة .

. لا . . لن تفعل . سأفعل هذا بنفسني . فأنا

أعرف ما ستقول

له .

فرد ببرود متصلب الوجه :

. أنا مدين له بالكثير . ويجب أن أنتهز أي

فرصة لإبلاغه بهذا .

فتوسلت جيني :

. لا تفعل روبرتو أرجوك . . إنس الأمر .

. خمس سنوات ؟ أتتوقعين أن أمسح خمس

سنوات من الدين

دون كلمة ؟

ووضعت يدها فوق يده :

. لقد انتهى الأمر .

ونظر إليها بخبث :

. لا . . فأنا دائماً عصبي المزاج وأنا صائم .

فنظرت إليه إيفا بذهول .

. صائم روبرتو ؟ بالتأكيد أنت لا تتبع حمية

وأنت مريض ؟

فاحمرت جيني تحت وقع عينيه الخبيثتين ,

واحتجت .

. أنت تغش في اللعب .

فشهقت إيفا وقد فهمت ما تعنيه كلماتهما ,

وابتسمت مشيخة

بنظرها عنهما . ونظر روبرتو إلى عيني جيني :

. حسناً . . ما قولك ؟ هل أصوم أم لا ؟

فتأوهت :

. أيها المبتز الخالي من الحياء . لماذا تريد

دائماً أن تنفذ ما

تريد ؟

فرفع يدها ليقبلها . . . مع نظرة خبيثة

واعدة , وقال بصوت

ناعم :

. أنا هكذا دوماً .

* * *

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية

زوروا موقع مكتبة رواية

www.rivaya.live

هذه الرواية إهداء خاص و حصري
رابط قناة روايات عبير على تيليجرام

<https://t.me/aabiirr>

تتلم قناة روايات عبير بمشاركة روابط روايات
عبير و أحلام و مختلف الروايات الرومانسية
الحصرية و المميزة
النهاية